الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
المركز الجامعي - ميلة -

المعهد:الآداب واللغات
الميدان:اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة:

جماليّات الفرس في شعر امرئ القيس

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص الأدب العربي

إعداد الطالبات:
1- صـــــفاء متران
2- كـــريمة لعيايشة .
3- مـــــنى العيفة .

إشراف الأستاذ:
إبراهيم لقان

السنة الجامعية: 2012/2011.

شكر وتقدير

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا ومباركا فيه على نعمة العلم التي وهبنا إياها وعلى الرزق العظيم القرآن الكريم الذي وهبه للأمة الإسلامية والذي يبتدأ بالآية الكريمة ﴿ إقرأ ﴾.

فشكرنا الأول والأخير نرفعه إلى المولى العلي القدير الكبير الذي لولاه لما وفقنا في عملنا هذا .

أما بعد وكما أخبر عليه الصلاة والسلام أنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله ، فإننا وبكل مشاعر الامتنان والاحترام نتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان إلى أستاذنا المشرف " **إبراهيم لقان** " على ما لقيناه من حسن المعاملة بآرائه السديدة وتوجيهاته العديدة ، فتقبل منا أستاذنا فائق التقدير والاحترام ودمت وفيا لرسالتك العلمية وجزاك الله خيرا .

كما لا ننس أن نشكر المركز الجامعي بميلة الذي احتضننا مدة ثلاث سنوات بينها .

ونشكر أيضا : مكتبة اللغة والأدب العربي بجامعة ميلة التي أمدت لنا يد العون والمساعدة

كما نشكر مكتبة اللغة والأدب العربي بجامعة قسنطينة " منتوري "

كما نشكر المركز الثقافي بقسنطينة الذين ساعدونا واستقبلونا ،

وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد ولو بالتشجيع على إتمام هذا العمل، وإخراجه إلى النور وأخص بالذكر على وجه الخصوص " متران آمال " التي أمدتنا بكثير من العون بنصائحها وتوجيهاتها ، متمنيين في الأخير لكل هؤلاء استمرارية العطاء لإعلاء راية العلم .

إهـــــــــــداء

قال الله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا "

بكل حب وخشوع قدسية الكلمة وصفاتها ، أهدي ثمرة جهدي إلى التي سهرت لأجلي كثيرا ، وتعبت وشقت لأرتاح ، إلى الوردة المتفتحة التي أعطتني رحيق حياتي ، إلى التي سقتني حبا وحنانا وعطفا إلى التي غمرتني بدعائها في كل صلواتها في الليل والنهار ، إلى أغلى ما في الوجودي تاج رأسي ومن تتربع على عرش قلبي ، رمز العطاء دون مقابل ، أحق الناس بحبي إليك:

" أمـــــــــــــــي الحبيبة الغالية " ساسية .

إلى الذي يحمل أحلى كلمة ينطق بها اللسان ، إلى من كافح وناضل وكرس شبابه وحياته ليرانا شموعا منيرة ، إلى من أوردنا الحب والحنان والصدق والقوة والصمود والتحدي للصعاب ، إلا أغلى إنسان إليك أيها العزيز الغالي :

أبـــــــــــــي " عبد العـــــــــــالي "

وأقول له نجاحي أهديك وبروحي أفديك وأرجوا من الله أن يحميك حفظك الله .

إلى من علمتني أن الإرادة طاقة وأن الصبر صفة وأن أنظر إلى هذا الكون نظرة واسعة ملؤها الود والحنان والأمل في مستقبل زاهر وسعيد أختي الغالية " ليلى " وزوجها عبد الجليل وابنتاهما " **نهال** " **و** " **هاجر** ".

إلى قرة عيني وميض قلبي أختي " ربيحة وزوجها جمال والكتكوت " **هيبت** "

إلى نور السماء في الأرض ، أجمل هدية في الكون ، ينبوع الحنان العطر الرحمن أختي المدللة " **إيمان** " .

إلى من أرادني أن أكون قدوة يقتدي بها الآخرون خلقا وعلما إلى أطيب مخلوق على وجه الأرض والأعز على قلبي أخي الحبيب " **هـــــارون** "

إلى صانع البهجة ، عصفور الجنة ، ملاك الرحمن أخي الصغير " حســـام "

إلى من قاسمتاني إنجاز هذا البحث صديقتاي عليا " **مـــــنى و كريمة** " ، وصديقتاي اللواتي وسعتهم ذاكرتي واللواتي لم تسعهم مذكرتي : سعدية ، نجيبة ، نورة ، حليمة ، ياسمينة ، جهاد وإلى كل من أحب.

إلى كل الأقرباء والأوفياء إلى كل من يهمه أمري ويفرح لسعادتي ويحزن لتعاستي إلى كل هؤلاء أهدي تحياتي .

" صفـــــــاء "

إهـــــــــداء

قال الله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ .

أهدي ثمرة جهدي إلى من أحببتها بعد حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، التي أوصاني بها ربي خيرا وجعل الجنة تحت قديمها والتي لو أفنيت العمر إحسانا لها لما وفيت آهة من آهاتها ، إلى أغلى ما في الوجود والتي أحبها بلا حدود ، ينبوع الحنان الفياض رمز العطاء دون مقابل والتي سهرت الليالي من أجل راحتي ونجاحي إلى التي غمرتني بدعائها في كل صلواتها في الليل والنهار ، أحق الناس بحبي:

أمي ثم أمي ثم أمي الغالية " فضـــيلة "

إلى من رباني صغيرا وأرشدني كبيرا وجعل حياته فداءا لنا إلى الذي يحمل أحلى كلمة تنطق على اللسان إلى من كافح وناظل وكرس شبابه وحياته ليرانا شموعا منيرا ، وجعل تأديبنا وتعليمنا غايته الكبرى فكان أعظم أب ، إلى الصرخ الشاهق في قلب شهق النجوم في السماء إلى من علمني وغرس في نفسي حب العلم والعمل ، إلى الذي سافر فجأة مثل التي تسافر الشمس الشطآن " أبي الغالي " رحمه الله .

أهديه دعاء صالحا عله يرفعه إلى الفردوس وإنه لفضل إن استجاب الرحمن .

- إلى من يحن القلب لرؤياهم وترف العين للقياهم ، قرة عيني ووميض وجداني أخواتي " **إسمهان** " ، " **مريم** " ، " **شهرزاد** " .
- إلى من غرس في قلبي حب العلم ، إلى الذي علمني أن الإرادة والطاقة وأن الصبر صفة وأن أنظر إلى هذا الكون نظرة واسعة ملؤها الود والأمل في مستقبل زاهر وسعيد أخي الغالي " هشـــام " متوجهة بأحر التهاني إلى زوجته " **سامية** " .
- إلى من أرادني أن أكون قدوة يقتدى بها الآخرون خلقا وعلما ، إلى أطيب مخلوق على وجه الأرض والأعز على قلبي أخي الحبيب " **محمد** " .
- إلى أختي " دلال " وزوجها نور الدين وولديهما الكتكوتة " رؤى " والبرعم الصغير محمد أمين .
- إلى من قاسمتاني هذا البحث أهدي لهما شكري وامتناني صديقتاي : " صفاء" و "كريمة ".
- إلى كل من نسيه القلم ولم ينسه القلب وبأجمل ما في الدنيا وأسمى معانيها .....

إلى ضياء الأمل وإلى غد أفضل .....

إلى كل هؤلاء ..... أهدي بكورة علمي.

" منى "

إهـــــــداء

لكل بداية نهاية ونهاية مشواري الدراسي هذا العمل المتواضع فلم أجد سبيلا لرد الجميل سوى هذا الإهداء البسيط ، فإذا كان لي في هذا الإهداء نصيب ، فأهدي عملي هذا إلى كل صاحب فكر ودين إلى كل من يؤمن بالله واليوم الآخر إلى من اختار الإسلام منها لحياته إلى كل من يعمل حبا لخالقه ورسوله محمد (ص) إلى رمز الحنان التي آزرتني ووقفت إلى جانبي للحبيبة التي كانت تعلمني كيف أسمو فوق النفحات إلى من حملتني وهنا على وهن والتي جعل الله الجنة تحت أقدامها ريحانة حياتي التي غمرتني بعطفها وأنارت درب حياتي ، وكانت لي العون والصدر الحنون والقلب العطوف أمي الغالية حفظها الله وأطال لي في عمرها .

إلى من علمني مبادئ الحياة وعرفني أن الكرامة فوق المساواة وطيبة القلب كنز ورباني على الفضيلة والأخلاق وشملني بالعطف والحنان وكان لي درعا أحتمي في نائبات الزمان وتحمل عبء الحياة حتى لا أحس بالحرمان ، أي العزيز .

إلى من يخاطبهم فؤادي قبل لساني إخوتي : أختي الكبيرة نبيلة وأخي محمود ، احمد ، وأختي فريال وصغير العائلة فيصل الأعزاء على قلبي .

وإلى صديقاتي اللاتي وسعتهم ذاكرتي واللاتي لم تسعهم مذكرتي : **مينة ، سلمى ، مديحة ، لمياء نورة ، سمية ، مريم ، صفاء ، منى ،صورية ، نعيمة** ... وإلى كل من أحب .

إلى كامل طلبة الآداب واللغات. والحمد لله جل ثناءه وتقدست أسماؤه ، سائلة الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه العظيم لجيل نافع .

كـــــــــريمة

مفهوم الجـــمال :

أ- **لـغة:** تعددت تعاريف لفظ الجمال في كتب النقد وقوامسيه فحسب لسان العرب :

الجمال:مصدر الجميل، والفعل جمل، وقوله عز وجل: ﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾ : أي بهاء وحسن . ابن سيدة : الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق [1].

أما في قاموس المعجم المفصل في الأدب فهو الحسن والملاحة [2].

ب- اصطلاحا:

كلمة استطيقا (علم الجمال)مشتقة من كلمة يونانية " إتسيسيس " وتعني الإحساس اللمسي [3].

وقد ظهرت كلمة استطيقا لأول مرة في البحث الذي نشره بومجارتن بعد حصوله على درجة الدكتوراه سنة 1735م وقد جعلها اسما لعلم قائم بذاته يهتم بالمعرفة الحسية وهو بذلك لم يخرج عن معناه اللغوي " فعلم الإستطيقا علم المعرفة الحسية ونظرية الفنون الجميلة ، وعلم المعرفة البسيطة وفن التفكير الإستدلالي" [4].

والجمال مصطلح متداول اليوم على وسعه ، يعني ما يثير فينا إحساسا بالميل نحو الكمال ، وخير الجمال ما كان نافعا[5].

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ،دار صادر بيروت ـ لبنان ـ ط3 ،1994 ،ج11 ،ص 126 .
[2] التونجي محمد : المعجم المفصل في الأدب ،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ـ ط2، 1999 ،ج1،ص 320.
[3] نجيب فايق أندراوس : المدخل في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو مصرية ، بيروت - لبنان ، 1974، ص.
[4] عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، بيروت- لبنان، ط2، 1967،ص15.
[5] التونجي محمد :المعجم المفصل في الأدب، ص320 .

نظرة تاريخية عن علم الجمال وفلسفته :

لعل خير منهج يوضح اتجاهات فلسفة الجمال في العصر اليوناني هو ذلك المنهج التاريخي الذي يفيد هذه الفلسفة على ضوء تطور الظاهرة الفنية وارتباطها بالتطور التاريخي والاجتماعي والسياسي في هذا المجتمع، واعتمدت فلسفة السفسطائيين على نظريتهم الحسية في المعرفة إذ ذهب أكثرهم إلى التوحيد بين المعرفة والإدراك الحسي أو الخبرة العلمية وكان أكثر الخطباء السفسطائيين يعتمدون الرأي الذي يذهب إلى أن الجمال والقيم الجمالية عموما لا ترتبط بقيم المعرفة والحقيقة ولا بالقيم الأخلاقية أو الدينية [1] .

ويمكننا تتبع مثالين لهذه الفلسفة الجمالية الموجهة لفن القرن الخامس عند أعظم سفسطائيي هذا العصر ، بروتاجوراس الأيديريوجورجياس اليوناني .

وكان جورجياس سبيل المدرسة الصقلية في الخطابة وتتلمذ على أنباد وفليس وتأثر بجدل إزينون وترك مؤلفات في الخطابة ونظرية المعرفة والوجود.

وقد استطاع " جورجياس " أن يفلسف للنظرية الشائعة عند اليونان عن الجمال ويخرج بها عن الإطار العقلي الذي يربطها بالحقيقة المقدسة الخالدة عند الفلاسفة ولذلك اهتم بتأكيد الدور الذي يلعبه الجمال الفني في التأثير عن إحساس الإنسان [2].

وانتهت نظرية الوهم عند جورجياس على ارتباط القيم الجمالية بالنشوة واللذة الحسية بمعنى آخر يمكن أن نطلق على النظرية (نظرية الوهم في الفن) وأشار بلوتارخ إلى تلك النظرية عندما قال إن التراجيديا تعطي الأساطير والعواطف قوة خادعة كما قال جورجياس: "وأن الذي يخدع أكثر عدالة ممن لا يخدع ، وأن، الذي يخدع أشد حكمة ممن لا يخدع [3].

وقد كان بروتاجوراس قبل ذلك قد وضع الإطار العام لفلسفة الجمال والفن التي بدأت تنتشر مع سياسة الديمقراطية ، فالفن على هذا الأساس هو نشاط لا يكتسب قيمة جمالية

[1] أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال، ص 11.
[2] المرجع نفسه،ص14 .
[3] المرجع نفسه ص15.

من التعبير عن مثال مطلق للجمال ولا هو هبة إلا هبة ينفرد الفنان بها لطبيعة فيه تعلو على طبيعة غيره من البشر [1].

ولقد كرس فلاسفة كثيرون جل وقتهم وطاقتهم لإيجاد تعريفات لبعض المصطلحات المرتبطة بعلم الجمال ، ويرجع مؤرخو الفن الإرهاصات الأولية لعلم الجمال إلى الفلاسفة اليونانيين الثلاثة سقراط وأفلاطون وأرسطو.

وقد نشأت فلسفة الجمال عند سقراط حينما وجه إلى هيباس سؤاله الشهير : " ما هو الجمال ؟ " فأحاله إلى بعض الموضوعات الجميلة كالفرس ، الذهب ، المرأة ، ... ورد عليه سقراط بأنه لم يسأله عن الأشياء التي تعد جميلة ، وإنما سأله : ما هو الجمال ؟ انطلاقا من هذا لم يعد سقراط الجمال من الموضوعات البسيطة ، بل الجمال يضاهي علم الهندسة ... بل هو من المعارف الجزئية .[2]

وقد ذهب أفلاطون : إلى أن كل جمال مرده المثال الأزلي الخالد أي الجمال المطلق[3] ولقد ربط مفهوم الجمال بمفهومي الحق والخير لأنه :" من المستحيل ونحن نستهدف الجمال أن نبلغ ما ليس بالخير" [4] وقد فهم أفلاطون الفن على أنه هبة مقدسة جاءت للإنسان من العالم الإلهي ، فهم مهمة الفنان على أنها أخطر وأعظم من مجرد التعبير عن الصورة الجميلة ، إنه إنسان ملهم من قوة عليا ومطلع على الحقيقة القصوى، منبئ الناس عنها فهو أشبه بالأنبياء والرسل [5] .

وتلاه أرسطو فأنكر عالم المثل الأفلاطوني وجعل الجمال في تنافس التكوين ، كما جعله أسمى من الحقيقة وقد كتب مؤلفه " رسالة في الجمال " يقول : " لا يمكن لكائن أو

[1] المرجع السابق،ص16.
[2] زكرياء ابراهيم :فلسفة الجمال بين سقراط وأفلاطون،مجلة الآداب بيروت،العدد6/1963 ،ص09.
[3] ضيف شوقي :في النقد الأدبي،ط3،دار المعارف،مصر،1962،ص77 .
[4] دنى هويسمان : علم الجمال ، ترجمة ظاهر حسن ، ط4 ، دار المنشورات عويدات ، بيروت- لبنان ، 1983 ، ص 23.
[5] أميرة حلمي مطر ، فلسفة الجمال ، ص 58.

شيء مؤلف من أجزاء عدة ، أن يكون جميلا إلا بقدر ما تكون أجزاؤه منسقة وفقا لنظام ما متممة بحجم لا اعتباطي، لأن الجمال لا يستقيم إلا بالنسق " [1] .

ولم يختلف أرسطو عن أفلاطون في تأكيده لأهمية الفنون الجميلة فن التربية والإرشاد إلى الخير والفضيلة الإنسانية إلا أنه اختلف عن أفلاطون في تفسيره لطبيعة اللذة الجمالية "[2].

ويرى أفلوطين الجمال بأنه موضوع محبة النفس لأنه من طبيعتها وهو ينتمي إلى عالم الحقائق العقلية ، فهو بطبيعته أقرب إلى النفس منه إلى طبيعة المادة ، لذلك فهي ترتاح إليه وتحبه في حين يكون القبيح أقرب إلى طبيعة المادة يقول :" عندما تصادف النفس ما هو جميل تندفع نحوه لأنها تتعرف عليه إذا أنها من طبيعة مشابهة لطبيعتها ، أما من تصادف القبيح فهي تصدف عنه وتنكمش على نفسها لأنه مغاير لطبيعتها . لذلك يرى أفلوطين أن كل ما تشكل بحسب فكرة معقولة صار أجمل ،فالجميل هو المصور والقبيح هو ما يخلو من الصورة المعقولة ، يوجد الجمال في الفن أكثر مما يوجد في الفنان وهو يوجد في الفنان أكثر مما في أعماله الفنية ذلك لأنه يوجد في العلة أعظم مما في المعلول ، لذلك أيضا كانت الآلهة أعظم وأجمل فنا لأن العقل فيها أعظم مما هو فنيا ، يقول أيضا : " الجمال هو الخير، من الخير يستمد العقل جماله ومن العقل تستمد النفس جمالها " . أما أنواع الجمال الأخرى مثل الأعمال والنوايا فجمالها أيضا مستمد من النفس إذ أنها النفس تصير نفس جميلة بقدر ما تشبه بالله " . ويلخص رأيه هذا في عبارته القائلة:" إن كل شيء جميل بقدر ما فيه من وجود "[3] .

[1] دني هو يسمان:علم الجمال، ص43 .
[2] أميرة حلمي مطر:فلسفة الجمال، ص58.
[3] المرجع نفسه،ص58.

أما عند الأوروبيين فقد شغل هذا المصطلح نشاطا عقليا لأبحاث فلاسفة من تبعه (أفلوطين) ، فكان يرى أن الجمال نوعان : جمال طبيعي وهو شيء جميل في ذاته وجمال فني وهو جمال لشيء جميل ما .[1]

ولكن شيلر الذي صدر له كتاب (رسالة في تربية الإنسان) سنة 1795 ، والجمالية عنده موجودة في كل الميادين وليست مقترنة بالفن فقط "[2]وكان يعتقد بوجود صراع ما بين المضمون والشكل في العقل الإنساني .[3]

وتلاه هيجل الذي ألف كتاب " علم الجمال "،وقد فرق بين نوعين من الجمال الجمال في الطبيعة و الجمال في الفن، وهو عنده لا يوجد في الطبيعة إلا باعتباره انعكاسا للجمال الذهني [4].

وخلفه شوبنهاور الذي يرى أن لكل شيء جماله الخاص ، غير أن هناك تدريجا من المادة إلى الحياة ومن الكائنات الحية إلى الإنسان ، والجمال البشري هو أسمى درجات الجمالية والفنون الجمالية متدرجة وحتى الفنون الأدبية متدرجة أيضا.[5]

وأما كروتشيه فيعرف الجمال : (التعبير الناجح) لأن التعبير عندما لا يكون ناجحا فإنه لا يكون تغييرا [6]. ويرى أن الجمال في الفنون لا يتعلق بتلك الصورة الباطنية التي تجسدها الصورة الخارجية ، كما يرى أن الموضوع الرئيسي لعلم الجمال هو الحدس ، وكذلك الجمال هو التعبير الموفق أما القبح فهو التعبير المخفف ومن تم يتقدم القبح متعددا.

و بنى الناقد ريتشارتر أحكامه النقدية على قاعدتي التوصيل والقيمة ، حيث يرى أن الإبداع الفني يكمن في عملية التوصيل ، فلا تقول هذه اللوحة الجميلة بل تقول إنها تحدث

[1] محمود زغلول سلام ، النقد العربي الحديث ، أصوله، قضاياه ، ومناهجه ، مطبعة المعرفة ، مكتبة الإنجلو مصرية 1964 ، ص 5.
[2] دنى هو يسمان : علم الجمال ، ص 66.
[3] نجيب فايق أندراوس : المدخل في النقد الأدبي ، ص 57.
[4] شايف عكاشة : نظرية الأدب في النقد بين الجمال البنيوي في الوطن العربي ، ص 21-22.
[5] أميرة حلمي مطر : فلسفة الجمال ، ص 113.
[6] عز الدين إسماعيل :الأسس الجمالية في النقد الأدبي، ص52.

في النفوس تجربة جمالية أي أن لها قيمة ، فهو يفرق بين كلمة " جمالي " وهنا يقصد بها عملية فنية ، وبين كلمة جمالي حين يقصد بها التقويم ويمكن ربط المعنى الأول بنظرية التوصيل عند ريتشاردز والمعنى الثاني يربطه بنظرية القيمة عنده .

أما فلسفة الجمال المعاصرة إنما تعبر عما عبر عنه الفن المعاصر من ملامح الحضارة المعاصرة ذلك أن الفن يجسد بالصورة المحسوسة ما تصوغه الفلسفة من تصورات وأفكار مجردة وتفاوتت قدرة المذاهب في توضيح هذه السمات بقدر ما تفاوتت في تفسيرها لطبيعة العمل الفني والخبرة الفنية ، وقد تتخذ فلسفة الجمال تفسيرا اجتماعيا أو أنثروبولوجيا كما ذهب أتباع الفلسفة الماركسية التي تميل إلى تعليل ظواهر الوعي الإنساني الممثل في فعل الإبداع الفني كما بين سارتر في بحثه عن الخيال وعلاقته بالإدراك وبالحرية جوهر وجود الإنسان.[1]

وهكذا نستطيع أن ننهي هذه الجولة عن تاريخ علم الجمال، ونرجع من جديد إلى ما بدأنا به فنقول: "ما هي الحقيقة الجمالية ؟ هل هي ثابتة في النفس أم في العالم الخارجي ؟ وقد ذهب الباحثون إلى مذهبين :

1- فأما من قالوا بموضوعية فردوه إلى ما تتضمنه الأشياء الجميلة في الطبيعة والفنون من تناسق وتوازن ، وهذا هو سر الجمال ، فالموسيقى فيها ذلك النظام من الإقناع التام ، والشعر فيه نظام من النغم [2] وقد ضرب لنا " لالو" في كتابه :" مبادئ علم الجمال " أمثلة للجمال الموضوعي الذي يتفق عليه كثير من الناس كما عرض أمثلة عملية لأشكال يتفق الناس على أنها جميلة وأخرى يتفق الناس على أنها ليست كذلك [3].

2-أما من يأخذون بفكرة الذاتية فيقولون إن الناس مختلفون في الشعور بل إن الفرد الواحد يختلف شعوره إزاء شيء باختلاف مراحل عمره وعلى هذا فالإحساس نسبي [4] وما

[1] اميرة حلمي مطر : فلسفة الجمال ، ص183.
[2] شايف عكاشة:نظرية الادب في النقد بين الجمال و البنيوية في الوط.
[3] محمد زغلول سلام ، النقد العربي الحديث ، ص 9.
[4] ضيف شوقي في النقد الأدبي ، ص 80.

يظهر جميلا في رأي بعض الناس يكون كئيبا عند البعض الآخر، فلا تقول إن الشيء جميل بل تقول إنه يؤثر فينا و يلائم حالاتنا وما تتطلب .

ونستطيع أن تقف موقفا وسطا فنقول :" إن الجمال لا يتبع من الأشياء وحدها ولا من النفس من غير مؤثرات ، وإنما الناحيتين الذاتية والموضوعية ، فمن الناحية الأولى وهو ما ينسجم مع الإحساس بالكمال العقلي ، من الناحية الثانية هو ما يتجلى فيه التناسب والتناسق ، خاصة حين يبدو ذلك في توحيد الأجزاء المتفرقة فالحقائق حين تنظمها فكرة في شكل متجانس منسجم يبدأ وصفها بالجمال .[1]

مهما تعددت الآراء وتباينت الدلالات حول موضوع الجمال ،وحقيقته فليس هدفنا هنا معرفة مشكلات الجمال،لأن هذا الأمر مرتبط بالفلسفة وإنما يهمنا معرفة علاقة الجمال بالفن ، وهذا هو موضوع بحثنا .

[1] عبد الحميد حسن ، الأصول الفنية للأدب ، مكتبة الأنجلو مصرية ، سنة 1964، ص 17-18.

1. مــولده ونشأته:

ولد امرؤ القيس في أوائل القرن السادس للمسيح في نجد ، وهو امرؤ القيس حندح بن حجر بن عمرو الكندي رأس شعراء الجاهلية وصاحب لوائهم كان راوية أبي دؤاد حارثة بن الحجاج الإيادي ، وابن أخت المهلهل وأول من أجاد القول في استيقاف الأصحاب وبكاء الديار وتشبيه النساء بالضباء والمها والبيض وترقيق النسيب.[1]

كما كان يغلب على شعره التشبيه والوصف أيام صبوته وبث الشكوى من الزمان وتنكر الأحباب زمان محنته ، وقد أجمع الأدباء على أن أحسن المطالع في الجاهلية مطالعه ، وأجود الاستعارات استعاراته ، كما أنهم كانوا يقولون " بدئ الشعر بكندة " يعنون امرؤ القيس " وختم بكندة " يعنون أبا الطيب، وكندة الأولى قبيلة يمانية وكندة الثانية محلة بالكوفة ولد بها المتنبي ، ويقولون أيضا بدئ الشعر بملك وختم بملك ويعنون أمرء القيس وأبا فراس الحمداني ، عاش امرؤ القيس طريد أبيه لتهتكه وخلاعته وتشبيبه بالنساء في شعره واشتغاله بالخمر والزنا عن الملك والرياسة . وكان كلما رده أبوه إليه ونهاه جاء بأشنع مما طرد لأجله فظل دهره منغمسا في الغي والبطالة [2].حتى قتل بنو أسد أباه ثم صار يطوف بين العرب ويستنجدهم على أعدائه .

[1] امرؤ القيس : الديوان ، دار صادر بيروت ، سنة 1421ه/ 2000م ، ص 5.
[2] الأعلم الشنتمري ، ديوان امرىء القيس،تصحيح ابن أبي شنب ، أستاذ بكلية الآداب بالجزائر ، المطبعة العالمية 16 ، 17 ،شرح صريح سعد بالقاهرة ، 1394 ه-1974 م ، ص 5.

2. كنيته ولقبه :

كني امرؤ القيس بـ " أبي زيد " أبي الحارث ، ولقب بـ " ذي القروح " " الملك الضليل ، " ونعته الرسول صلى الله عليه وسلم :" بحامل لواء الشعراء إلى جهنم " ولكنه لم يشتهر إلا بلقبه امرئ القيس ومعناه رجل الشدة [1].

وسبب تعدد أسمائه خلط الرواة بينه وبين من لقب بامرئ القيس في عصره وقد كانوا كثيرين ، منهم الشعراء ومنهم غير ذلك .

وكان يكنى أبا الحارث ، وأبا وهب ، وأبا زيد ويلقب بالملك الضليل وامرئ القيسوالقيس الذي يضاف إليه صنم كان يعبد في الجاهلية ، وتعدل الكلمة في اللغة الشمالية عبد القيس ، وبه سمي كثير وقد أصاب ثعلب شاكلة الصواب حين رأى أنها بمنزلة عبد الله وعبد الرحمن ويقال له :

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرمل[2]

والدته :

جاء في الأغاني أن أمه هي فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب ومهلهل ابن ربيعة التغلبيين ، قال من زعم أنه امرؤ القيس بن السمط : أن أمه هي تملك بنت عمرو بن زبيد وحجته امرؤ القيس:

ألا هل أتاها والحوادث جمة بأن امرؤ القيس بن تملك بيقرا [3].

[1] محمد الإسكندراني و نهاد رزوق ، ديوان امرئ القيس ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط 1 ، 1423 هـ / 2002 م ص 6.

[2] أحمد طاهر مكي ، امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية ، حياته وشعره ، دار المعارف بمصر ، ط2 ، 1970 ، ص 79.

[3] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان امرئ القيس ،ص 6.

3. سيرته :

كان امرؤ القيس أصغر أولاد أبيه ، فنشأ على ما تنشأ عليه أبناء الملوك من العرب تعلم الفروسية ووسائل النجدة والشجاعة وكان كثير التردد على أخواله في بني تغلب تعلم الشعر من خاله سالم بن ربيعة الملقب بالمهلهل المشهور ، وكان امرؤ القيس ذكي الطبع قوي الفهم متوقد الذهن ، طليق اللسان ، أجاد قول الشعر وبرز فيه وهو لا يزال في عنفوان شبابه وطالعة فتائه ، فكان يعترض فتيات بني أسد ويغازلهن ويشبب بهن ، فبلغ أمره إلى أبيه وكذلك مم لا يرضى به ملوك العرب في ذلك الزمان فنهاه فلم ينته ،وزجره فلم يزدجر ، فزعموا أن أباه أمر مولى له يقال له ربيعة أن يذهب به فيذبحه ويأتي إليه بعينه فأخذه ربيعة واحتفظ به في مكان ، ثم ذبح جؤذرا ، وجاء بعينه لأبيه فندم حجر في ذلك وأظهر الحزن والأسف فقال له ربيعة : أبيت اللعن إذا لم أقتله . فقال له : جئني به . فلما جاء به نهاه عن قول الشعر فامتثل . غير أنه كان محبا للهو واللعب مولعا بمغازلة النساء ، فكان ذلك مما ينزع به إلى قول الشعر ، فقد كان يقول واصفا ، متغزلا وناسبا وباكيا فبلغ ذلك أباه فطرده . فذهب شاردا فريدا لا يدري ماذا يصنع.

فبينما هو في هذه الحالة غير عابئ من الدنيا إلا بما هو فيه من مرح وسرور جاءه نعي أبيه حجر وأن بني أسد قتله.

لقد طعنه علباء بنى الحارث الكاهلي فأصاب نساه وتركوه بين الحياة والموت وشد وا على هجائنه فاستلقوها ومضوا على وجوههم ، قالوا: فكتب حجر و صيته وأبان فيها من قتله وجيلة خبره ، ودفعها إلى رجل من رهطه وأمره أن يمر على بنيه واحد واحد،فلما وصولا سكرا غدا اليوم خمر وغدا أمر ."[1]

وآل ألا يأكل لحما ولا يشرب خمرا ولا يدهن بدهن ، ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه حتى يقتل من بني أسد مائة ويجز نواصي مائة بثأر أبيه وقال :

[1] المصدر السابق ،ص 9.

خليلي لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب [1]

وأخذ يجمع العدة ويستنجد القبائل ولا سيما أخواله من بني بكر وتغلب ثم سار إلى بني أسد فأوقع بهم وقتل منهم خلقا كبيرا ، فطلبوا أن يفدوه بمئة من وجوههم ،وعندما أبى ذلك تخاذلت عنه بكر وتغلب وطلبه المنذر الثالث ملك الحيرة ، كذلك في نفسه على قوم كندة ففر امرؤ القيس وسار في القبائل يطلب النجدة في غير جدوى وقد سمي لذلك الملك الضليل وأخيرا قر رأيه أن يتوجه إلى تيماء فيطلب من السموأل كتابا إلى الحارث بن شمر الغساني عله يتوسط لدى قيصر الروم بالقسطنطينية فيكون له منجدا ويوعز إلى حلفائه من القبائل العرب أن يمدوه بالرجال .[2]

وكان عند القيصر رجل من بني أسد يقال له : الطماح ، فوشى به إلى قيصر فوجد عليه وأحفظه ذلك حتى إنه هم بقتله ، وألقى ذلك إلى من يثق به من أهل مملكته فأشاروا عليه ألا يقتله في بلده لئلا تسمع العرب أنه يقتل الملوك إذا وفدوا عليه ، فقال له ما بغيتك ؟ فقال :" إني أريد رجالا أستعين بهم أعدائي " ويكون البلد لك ، فقال : لك ثم ضم إليه أصحابه رجلا بمقدار حاجته ، وقال له : أخرج إذا شئت . فخرج حتى إذا بلغ أنقرة بعث إليه قيصر بحلة مسمومة وقد نسجت بالذهب ، وقال للرسول : قل له : الملك قد حباك بهذه الحلة لقربك من قلبه . وأحب أن تلبسها ليراها عليك أصحابك.فلبسها من وقته ليبلغ قيصر حسن صناعته . فخرجت عليه قروح، فلهذا تسميه العرب :ذا القروح . ثم أقبل لحمه يتناثر وكان يحمل في محفظة فعند ذلك أنشأ يقول :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبس

وبذلت قروحا داميا بعد صحة لعل منايانا يحولن أبؤسا[3]

[1] المصدر السابق ، ص 9.
[2] المصدر نفسه ، ص 11.
[3] المصدر نفسه ، ص 11.

1.3. تشرده :

فعاد امرؤ القيس إلى والده ،إلا أنه لم يكف عن قول الشعر فطرده أبوه وأبى أن يقيم معه أنفة من قوله الشعر ، وقيل بل طرده لما تغزل بفاطمة وكان لها عاشقا . فكان يسير في أحياء العرب ، ومعه أخلاط من شدادهم من طيء وكلب وبكر بن وائل ، فإذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم وخرج إلى الصيد ، فتصيد ثم عاد ، فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه ، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه إلى غيره [1].

2.3. أسطورة زواجه:

وصلنا أن امرئ القيس آل بآلياته ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين ، فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلنا : أربعة عشر ، بينما هو يسير في جوف الليل ، إذا هو يرى برجل يحمل ابنة له صغيرة فأعجبته ، فقال لها : يا جارية ما ثمانية وأربعة واثنتان ؟ فقالت له : أما ثمانية فأطباء الكلبة وأما أربعة فأخلاف الناقة فخطبها من أبيها فزوجها إياه ، وشرطت هي عليه أن تسأله على ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشر أعباد ، وعشر وصائف ، وثلاث أفراس ففعل ذلك .

ثم إنه بعث عبدا له إلى المراة وأهدى إليها نحيا من سهم ، ونحيا من عسل وحل من عصب ، فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها فتعلقت بشعره فانشقت ، وفتح النحيين فطعم أهل الماء منها فنقص ، ثم قدم على حي المرأة ، وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها هديتها فقالت له : أعلم مولاك : أن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا ، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن أخي يراعي الشمس وأن سماءكم انشقت ، وأن وعائكم نضبا فقدم الغلام على مولاه وأخربه فقال : أما قولها إن أبي ذهب

[1] امرؤ القيس : ديوان ، ص 9.

يقرب بعيدا ويبعد قريبا ، فإن اباها ذهب يحالف قوما على قومهم ، وأما قولها : ذهبت أمي تشق النفس نفسين ، فإن أمها ذهبت تقبل نفساء ، وأما قولها إن أخي يراعي الشمس ، فغن أخاها في سرح له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به ، وأما قولها إن سمائكم انشقت فإن البردة الذي بعثت به انشق ، وأما قولها إن وعاءيكم نضبا فإن النحيين الذي بعثت بهما نقصا ، فأصدقني .

فقال : يا مولاي : إني نزلت بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نفسي وأخبرتهم أني ابن عمك ونشرت الحلة ، فانشقت ، وفتحت النحيين فاطعمت منهما أهل الماء .

فقال : أولى لك .

ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا ، فخرج الغلام يسقي الإبل فعجز ، فأعانه أمرؤ القيس ، ورمي به الغلام في البئر وخرج حتى جاء قول المرأة بالإبل وأخبرهم أنه زوجها ، فقيل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أدري أزوجي هو أم لا . ولكن أنحروا له جزورا وأطعموه ، ففعلوا فقالت : أسقوه لبنا حازرا ، وهو الحامض فسقوه فشرب فقالت: أفرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فنام ، فلما أصبحت أرسلت إليه إني أريد أن أسألك ، فسألته عن أشياء لم يحسن جوابها قالت : عليكم بالعبد فشدوا يديكم به ، ففعلوا. فقال : ومر قوم فاستخرجوا امرئ القيس من البئر فرجع إلى حيه فاستاق مائة من الإبل وأقبل على إمرأته ، فقيل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أدري أهو زوجي ام لا ولكن أنحروا له جزورا فأطعموه من ذنبها ففعلوا ، فلما أتوه بذلك قال : وإن الكبد والسنام والملحاء ؟ فأبى أن يأكل ، فقالت : أسقوه لبنا حازرا فابى أن يشربه وقال : فأين الصريفة والرثيئة ؟ فقالت : أفرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام وقال : أفرشوا لي فوق التلعة الحمراء واضربوا لي عليها خباء .ثم أرسلت إليه ، هلم شريطة عليك في المسائل الثلاث فقال لها : سلي عما شئت فقالت : مما يختلج كشحاك ؟

قال : للبس الحبرات .

قالت : فمما يختلج فخداك ؟

قال : لركض المطيات .

قالت : هذا زوجي لعمري فعليكم به واقتلوا العبد .فقتلوه وتزوج بالجارية .[1]

3.3. تصعلكه: :

كان أمرؤ القيس ما يزال مع صعاليك العرب حتى أتاه خبر مقتل أبيه ، وهو بدمّون من أرض اليمن وقيل من الشام ، وأخبر ابن السكيت : أن حجرا أباه لما طعنه بعض بني أسد ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل من بني عجل ، يقال له " عامر الأعور " وقال له: انطلق إلى ابن نافع ، فغن بكى وجزع فلهي عنه واستقر أولادي واحدا واحدا حتى تأتي أمرئ القيس ، وكان أصغرهم ، فإن لم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي ووصيتي ، وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره .

فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه ، فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثم استقراهم واحدا واحدا ، فكلهم فعل ذلك ، حتى أتى أمرئ القيس فوجده في دمون مع نديم له يشرب ويلاعبه بالنرد .فقال له : قتل حجر ، فلم يلتفت إلى قوله وأمسك نديمه ، فقال لهم امرئ القيس : إضرب ، فضرب حتى إذا فرغ قال : ما كنت لأفسد عليكم دستك .ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره ، فقال :

تطاول الليل علينا ، دمون! دمّون! إنا معشر يمانون،

وإننا لأهلنا محبون [2]

[1] المصدر السابق، ص : 11-12.
[2] المصدر نفسه، ص: 14.

وقال أيضا :

خليلي ! في الدار مصحى لشارب ، ولا في غذ ، إذ ذاك ، ما كان مشرب [1]

ثم قال : ضيعني أبي صغيرا وحملني دمه كبيرا .لا صحو اليوم ولا سكرا غدا

اليوم خمر . اليوم قحاف ، وغدا نقاف .

فذهب القولان مثلا .

ثم شرب سبعا ، فلما صحا آل أن لا يأكل لحما ، ولا يشرب خمرا ، ولا يدهن بذهن ولا يلهو بلهو حتى يدرك بثأر أبيه فيقتل من بني آله مائة ويجز نواصي مائة ، وفي ذلك يقول :

أرقت ولم يأرق لما بي نافع ، وهاج ليا الشوق الهموم الروادع[2]

4.3. التـــأهب والأخذ بالثأر :

أخذ امرئ القيس يجمع العدة ويستنجد القبائل ، ولا سيما أخواله من بني بكر وتغلب ثم سار إلى بني أسد ما يعد لهم فأوفدوا عليه رجالا من قبائلهم كهولا وشبانا ، فيهم المهاجر بن خداش ابن عم عبيد بن الأبرص وقبيصة بن نعيم وكان في بني أسد مقيما ، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردا وإصدارا يعرف ذلك له من كان محيطا بأكناف بلدهم العرب . فلما علم أمرئ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدم بإكرامهم والإفضال عليهم واحتجب عنه ثلاثا .

[1] المصدر السابق ، ص 14

[2] المصدر نفسه ، ص 14.

فسألوا من حضرهم من رجال كندة، فقال هو في شغل بإخراج ما في خزائن أبيه من حجر من السلاح والعدة . فقالوا اللهم غفرا . إنما قدمنا في أمر نتناسا ذكر ما سلف ونستدرك به ما فرط ، فاليبلغ ذلك عنا .

فخرج عليه في قباء وخف وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تهتم بالسواد إلى في التراث ، فلما نظروا إليه قاموا وبدر إليه قبيصة : إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدثه أيامه ، وتتنقل به أحواله ، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تذكرة مجرد ، ولك من سؤدد منصبك وشرف أعراقك ، وكرم أصلك في العرب.

ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك، فوجدت عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح في يد الذي كان من الخطب الجليل.

كان لحجر التاج والعمة ، فوق الجبين الكريم وإيخاء الحمد وطيب الشيم . ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرمائنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه . ولكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه و يحدث اقصاه أدناه فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك . إما إن اخترت من بني أسد أشرافها بيتا وأعلاها في بناء المكرمات صوتا ، فخضناه إليك بنسعه .فبكى أمرؤ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال : لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دمي ، وإني لن أعتاض به جملا وناقة ، وستعرفون طلائع كندة ، من بعد ذلك تحمل القلوب حنقا ، وفوق الأسنة علقا :

إذا جالت الخيل في مأزق تدافع فيه المنايا النفوس [1]

أتقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا:بل نصرف بأسوإ الإختيار ، وأبلى الاجترار ، لمكروه وأذية وحرب وبلية . ثم نهضوا عنه وقبيصة يقول متمثلا :

لعلك تستوخم الموت إن غدت كتائبنا في مأزق الموت تمطر [2]

[1] المصدر السابق،ص .14

[2] المصدر السابق، ص14.

فقال امرؤ القيس :

لا والله لا أستوخمه ، فرويدا ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائ حمير ولقد كان ذكرها لهذا أولى بي إذ كنت نازلا بربيعي ، ولكنك قلت ، فأجبت.

فقال قبيصة : ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والاعتياب . قال امرؤ القيس : فهو ذاك .

- **إيقاعه ببني أسد :**

ارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكرا وتغلب ، وعليهم إخوتهم شرحبيل وسلمة ، فسألهم النصر على بني أسد . ثم بعث عليهم فنذروا بالعيون ، ولجأوا إلى بني كنانة ، وكان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث .

فلما كان الليل ، قال لهم علباء : يا معشر بني أسد تعلمون والله أن عيون امرئ القس قد اتتكم ورجعت إليه ورجعت إليه بخبركم ، فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة .ففعلوا .وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب ، حتى انتهى إلى بني كنانة ، وهو يحسبهم بني أسد فوضع السلاح فيه وقال : يا لثارات الملك ! يا لثارات الهمام ! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: بيت اللعن لسنا لك بثأر، نحن من كنانة فدونك ثأر فا طلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس.

فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم فقال في ذلك:

ألا يا لهف هند إثر قوم هم كانوا الشفاء ، فلم يصابوا

وقاهم جدهم ببني ابيهم وبالأشقين م كان العقـــاب [1]

وأفلتهن علباء ، جريضا ، ولـــو ادركته صفر الوطاب [2]

[1] المصدر نفسه، ص15..
[2] المصدر السابق ، ص 15.

ثم سار وراء بني أسد سيرا خثيثا إلى أن أدركهم ، وقد تقطعت خيله،وقطع أعناقهم العطش ، وبنو أسد جامون على الماء . فنهد إليهم ، فقالتهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم ، وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوه فقالوا له : قد أصبت ثأرك قال : والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل و من غيرهم من بني أسد أحدا . قالوا بلى ولكنك رجل مشؤوم . وكرهوا قتالهم بني كنانة فانصرفوا عنه.[1]

5.3. شاعرية امرئ القيس :

امرؤ القيس من فحول شعراء الجاهلية ، يعد من المقدمين بين ذوي الطبقة الأولى وفي شعره دقة اللفظ وجودة السبك وبلاغة المعاني ، سبق الشعراء إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعته عليها الشعراء كوقوفه واستقافه صحبه في الديار ، ورقة النسيب وقرب المأخذ ، وجودة التشبيه وتفننه فيه ، ودقة الوصف ، وبراعته فيه ، وما في وصفه من حياة وحركة ، وفي شعره من رمز وتلميح ومن موافقة الألفاظ للمعاني . قيل سأل العباس بن عبد المطلب عمر بن الخطاب عن الشعراء وأميرهم ، فقال : امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معاني عور أصح بصر وفضله الإمام علي بأن قال :

رأيت امرأ القيس أحسن الشعراء نادرة وأسبقهم بادرة ، وإنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة .وقيل إن امرأ القيس لم يسبق الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء وأتبعوه فيها لأنه أول من لطف المعاني ومن استوقف على الطلول وقرب مآخذ الكلام فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيب ، منها ذك الطلول والالتفات إلى الأحباب والتفنن في الأوصاف ، وقد ترك امرؤ القيس مذهبا شعريا هو الوقوف على أطلال والبكاء عليها ، سار عليه الشعراء من بعده .[2]

[1] المصدر السابق ، ص 16-17 .
[2] المصدر نفسه، ص 28 .

وفـاته : أسطورة الحلة المسمومة وموته :

لقد قر رأي امرئ القيس أن يتوجه إلى تيماء فيطلب من السموأل كتابا إلى الحارث ابن شمّر الغساني عله يتوسط لدى ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ، ليوصله إلى قيصر الروم القسطنطينية، فيكون له منجدا ويوعز إلى حلفائه من القبائل العرب أن يمدوه بالرجال وكان عند قيصر الروم رجل من بني أسد: يقال له الطماح ، وكان امرؤ القيس قتل أخا له من بني أسد ، حتى أتى بلاد الروم فأقام مستخفيا ، ثم إن قيصر منحه جيشا كثيفا وفيهم جماعة من أبناء الملوك ، فلما فصل . قال لقيصر ، قوم من أصحابه :

إن العرب قوم غدر لا نؤمن أن يظفر هذا بما يريد ثم يغزوك لمن بعثت معه .[1]

وقال ابن الكلبي : بل قال له الطماح:إن امرأ القيس غوي فاجر ، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ، وهو قائل في ذلك أشعارا يشهرها في العرب فيفضحها ويفضحك . فبعث إليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب وقال له : إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك ، فإذا وصلت إليك فألبسها باليمن والبركة . واكتب إلي بخبرك من منزل فلما وصلت إليه اشتد سروره بها ولبسها في يوم صائف.فتناثر لحمه ، وتفطر جسده ، وكان يحمله جابر بن حنين التغلبي .فلذلك سمي ذا القروح كما سمي بالملك الضليل لتشرده ، في تنقله من قبيلة إلى أخرى [2] وقال في ذلك قصيدة مطلعها:

تأو بني دائي القديم فغلسا أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا[3]

[1] المصدر السابق، ص 24.

[2] المصدر نفسه، ص25.

[3] المصدر نفسه،ص25 .

4. آراء النقاد في امرئ القيس :

بالعودة إلى امرئ القيس نلحظ أن براعته في القياس وإيجاد العلاقات بين أطراف التشبيه هماما أعطى للتشبيه عمقا معرفيا ميزه عن غيره وهذا ما يؤكده النقاد الذين درسوا شعره .فقد وصل التشبيه إلى مرحلة النضج الفني على يدي هذا الشاعر الأمر الذي جعل ابن رشيق " يرى أن هذا الشاعر قد خسف للشعراء عين الشعر ".[1]

وهو ما جعل كذلك صاحب الطبقات يقول فيه :" إنه سبق الناس إلى أشياء ابتدعها استحسنها العرب واتبعه فيها الشعراء "[2] .

بل إن أبا القاسم الآمدي صاحب كتاب الموازنة ذهب إلى أن امرىء القيس هو مؤسس الأساس إذ كانت الأشعار قبله ساذجة وعفوية ، وكانوا يقولون: أسيلة الخد حتى قال: أسيلة مجرى الدمع ، وكانوا يقولون في الفرس السابق يلحق الغزال والظليم حتى قال : قيد الأوابد وامتثله الناس [3] .

وقد ذكر ابن سلام بعضا من مميزات شعر امرئ القيس وهو بصدد حديثه عن أشعر الناس وقرر أنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب واتبعه فيها الشعراء وهي : " استيقاف صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقة النسيب وقرب المأخذ ، وشبه النساء بالظباء والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصي ، وقيد الأوابد . وأجاد في التشبيه وفصل بين النسيب وبين المعنى ".[4]

---

[1] ابن رشيق القيرواني:العمدة في محاسن الشعر ، تصحيح محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل النشر ، بيروت - لبنان ، ط 4 ، 1972 ، ج1/ص 94.

[2] ابن سلام الجمحي:طبقات فحول الشعراء ، تصحيح محمود شاكر ، مطبعة المدني ، جدة المملكة العربية السعودية ج 1، ص 27.

[3] الآمدي : الموازنة في شعر أبي تمام والبحتري ، تصحيح أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر 1921 ، ص 39.

[4] ابن سلام الجمحي :طبقات فحول الشعراء، ص 55.

صورة الفرس عند الشعراء الجاهلين :

لقد اعتنى العرب بأجسامهم، فاكتملت قوتهم وعظم احتمالهم للخطوب والشدائد وتعودوا خوض المغامرات والمحن، واستهانوا بالحرب والموت.وقد تطلبت منهم الحروب الكثيرة التي نشبت بينهم أن يعنوا عناية خاصة بأدوات الظفر والقتال. وأول هذا العدد –بعد القوة الجسمية –جواد أصيل، يعرف كيف يصبر في المعركة، والسيوف تقعقع وتلمع من حوله، والسهام تصب عليه ويعرف كيف يقدم، ويشق حجب الغبار [1].

قال ضبعة العبسي :

شديد مجامع الكتفين طرف به أثر الأسنة كالغلوب [2]

ولهذا اعتزوا بالخيل ، وعرفوا لها منزلتها ، وعدوها بمثابة أولادهم ، وكان يهنئ بعضهم بعضا إذا ولدت فرس ، ويحتفلون بمقدم المهر المولود احتفالا يدل على عظم مكانتها في قلوبهم ، فحينما تضع الفرس وليدها تجتمع الأسرة حولها ، وتستقبلها بالصياح والتهليل لأنه هبة من الله وبركة منه ، ثم يأخذه أحد أفراد الأسرة بين ذراعيه ويسير به مدة في موكب صاخب وبهذه الطريقة يتعود المهر منذ نشأته الأولى ألا يخاف شيئا وأن يكون هادئا وسط الميدان وقعقعة السلاح وجلبة الجيوش، ثم يعود به إلى أمه وهنا يقول رب الأسرة" اللهم اجعل الوليد مصدر سعادة وبركة وصحة لنا ، فيؤمن أفراد الأسرة على دعائه ".[3]

ولقد فضلها بعضهم على أولاده، يجوعون ولا تجوع. فهي التي تحمي الأسرة ، فتجلب لها الرزق ، وبها يدافع رب الأسرة عن عياله وقد قال عبيد بن ربيعة التميمي ، وقد طلب أحد الملوك فرسه (سكاب) فمنعها منه وقال قصيدته الشهيرة :

---

[1] عمر الدسوقي : الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا ،أستاذ الأدب ورئيس الدراسات الأدبية، مطبعة النشر ، ص 41.

[2] المرجع نفسه ،ص 41.

3 المرجع نفسه،ص42.

أبيت اللعن إن (سكاب) علق نفيس لا يعار ولا يباع [1]

وقال أيضا :

مفداة مكرمة علينا يجاع لها العيال ولا تجاع [2]

ومما يدل على اعتزازهم لخيولهم الأصيلة أنهم كانوا يضنون بها أن يختلط نسبها بغير الإناث المعرفة في النسب ، بل يختارون لها إناثا مشهورة معروفة بنجاتها، وإن اختيار أنثى غير مناسبة لجواد أصيل كتزويج رجل أبيض شريف من زنجية ذميمة ولا عجب فالخيل من أقوى عدد العربي وسط الصحراء وهي تجلب لهم الخير قال الشاعر :

الخير ما طلعت شمس وما غربت معلق بنواصي الخيل معقود [3]

ولقد كان للخيل الحظ الأوفر من عناية العرب في الجاهلية، إذ كانت شديدة الاتصال بحياتهم في الحرب وكان صهيلها من الأصوات التي ألفوها في شتى ظروفهم ومقاما تهم وحلهم و ترحالهم .والفرس هي أيضا للحرب و السلم ، وتأكيد الشاعر عليها واصفا ومتحدثا مستفيضا ، تأكيده على رفيق وصديق حميم ، ووصفه بمخلوق تميز بصفات ناذرة ومدهشة . إنه سريع الجري حتى ليلحق الوحش فتقع مقيدة عاجزة عن الاستمرار في السير وقال امرؤ القيس :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيــكل [4]

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

هذا هو فرس امرئ القيس ، قوي سريع ، أما فرس عنترة فهو في الصميم من المعركة يزحم الأبطال ويمهد لفارسه طريق الفتك والطعان ، ويلتقي بصدره النبال والرماح ، ولكنه

[1] المرجع السابق ، ص 42.
[2] المرجع انفسه ص 42.
[3] بدوي طبانة : معلقات العرب ، دراسة نقدية وتاريخية في عيون الشعر الجاهلي كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، مكتبة الأنجلو مصرية ص 215.
[4] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان امرئ القيس ، ص 33.

يتألم ويشتكي تحمحمه وازوراره في خفق ريشة مصورة نابضة بالحياة ، يقول الشاعر عنترة بن شداد :

فازور من وقع القنا بلبـانه وشكا إلي بعبرة وتحمحـم

لو كان يدري ما المخاطبة اشتكى ولكان لو يدري الكلام مكلمي [1]

الفرس شخصا ثالث في القتال ، فما هو إذن حيوان بعيد عن المشاركة الصميمة وما الوصف بعد هذا ، موضوعا مجردا عن الوجود ، ووجود الشاعر ووجود الأحداث تعصف من حواليه وبه ، ولهذا نجد قيمته الحقيقية كموضوع حي نقل التجربة وجسد الحركة الإنسانية والطبيعية .

ومن أجل هذا كان للفرس تلك الأهمية في شعر شعراء البادية، وبسبب هذا ظهر الحديث عنه ، بكثرة عجيبة .

قال الشاعر :

سلس العنان إلى القتال ، فعينه قبلاء شاخصة كعين الأصول

وكأن مشيته إذا نهنهـته بالنكل ، مشية شارب مستعجل [2]

الوصف رائع مدهش ، الفرس متوارب النظرات ، كمن في عينه حول ، أو هو كالذي يتناول على سرعة ، شربة ماء ويمضي .

وأجمل ما في هذا الوصف ذلك التشخيص الذي أكمل من مشاركة التفاعل الوجودي في هذا الشعر، وجعله متكاملا غنيا بالحركة وهو يحمل الصورة من الجمود والعزلة الفنية إلى الاندماج في الكل المتكامل ففي وصف الفرس صور جاهلية مستوحاة من حياة البادية.

[1] كمال عبد الله : شعراء من الماضي ص93.
[2] المرجع نفسه ،ص 94.

وفي أبيات أخرى تظهر قيمة وصف الفرس في أوصاف جديدة ترتكز على منافعه الأخرى :

على مثله أتى الندى محايلا وأغمز سري ، أي أمري أربح

ويسبق مطرودا ويلحق طاردا ويخرج من غم المضيق ويخرج [1]

ويقول عنترة :

حتى رأيت الخيل بعد سوادها حمر الجلود خصين من جرحاها [2]

فالفرس هنا وسيلة قتال ،وهي في الصورة الشعرية ، بعض ما يكمل اللوحة في المشهد ، تخضبت بدم القتلى ، حتى أبدلت سوادها بحمرة الدم ، وتعثرت ببرك النجيع لصعوبة الموطئ وخطورة الواقعة ، وكان له من حصاد المعركة ظفر عاد برأس سيد القبيلة المعادية ، وكان من تتمة اللوحة أن تنظر إلى أبياته فترى الأعداء متناثرين متساقطين على التراب كالإبل المذبوحة ، وترى غير ذلك : الكواسر من الطيور حطت عليها واجدة قوتا سخيا .

فالفرس والمعركة والبطل و الأعداء، مشاهد تتحرك في براعة أداء، وفي مشاركة الحياة، لها وصراع الوجود أعنف ما في الوجود من صخب ومخاض وتفاعل [3].

وفي مقام الفخر بالفروسية والبطولة ، ذكر عنترة الخيل حين وازن بين حال حبيبته عبلة التي تمسي وتصبح منعمة الموطأ لها الفرش والحشايا وحاله هو يرتب على فرسه ، وحشيته السرج على فرس ضخم الأطراف و القوائم وحين ذكر حبيبته بطول ما أبلى وهلا سألت الخيل عنه إن كانت جاهلة ، إذ كان مقيما على فرسه الذي كان يجرده للطعان لاقتحام جيش العداء .

[1] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم – دار الجيل ، بيروت - لبنان، مؤسسة خليفة للطباعة ، 1951.
[2] كمال عبد الله : شعراء من الماضي ص 94.
[3] المرجع نفسه ، ص 95.

وذكر دعاء قومه إياه لاقتحام غمرات القتال ، فلما شرع الأعداء الأسنة نحو فرسه ليعيقوه ويأسروا راكبه ، كانت أشبه شيء بالخيال التي ترسل في البئر يستقي عليها كالقميص ، حتى مال ذلك الجواد عن القوم لكثرة ما ناله من رماحهم ودمعت عينه وحمحم وكأنه يشكو إلى فارسه ذلك ولو كان يعلم الكلام لأفصح بالشكوى [1].

ولقد كانت الخيل تقتحم الغبار بسرعة وهي عوابس لهول الموقف وجده وكان منها طويل وقصير الشعر. أما الحارث بن جلزة فقد وصف إغارة بني تغلب على قومه من بكر وأنهم كانوا يحكمون أمرهم ليلا ليصبحوهم بما اتفقوا عليه ، فيسمعونهم الضوضاء والصياح وصهيل الخيل .

ويتحدث الشعراء الصعاليك أيضا عن غزواتهم على الخيل ،مقترنة بغزواتهم على الأقدام ،وليس هناك ما يمنع الصعاليك من استخدام الخيل في غزواتهم إذا وجدت وليس في هذا ما يطعن في مقدرتهم على العدو ، فهي مقدرة معترف لهم بها هذا إلا أن بعض الصعاليك لم يكونوا عدائين وقد عرفت أسماء خيل بعض الصعاليك ، فقرمل فرس عروة بن الورد ، والنحام فرس السليك ، واليحموم فرس الشنفرى .

ويتحدث الصعاليك أحيانا عن غزواتهم على الخيل مقترنة بغزواتهم على الأقدام فالشنفرى ، ذلك الرجل الذي يضرب به المثل أيضا في السرعة والعدو ،يتحدث عن فرسه حديثا طريفا ، ففرسه لا عيب فيه سوى هزاله ، ولكنه جريء مقدام ، تطغى جرأته وإقدامه في أثناء القتال على هزاله ، بل إن الخيل السمينة لا تستطيع الوقوف أمامه قال الشنفرى :

ولا عيب في اليحموم غير هزاله على أنه يوم الهياج سمين

وكم من عظيم الحلق عبل موثق حواه ، وفيه بعد ذلك جنون [2]

[1] بدوي بطانة : معلقات العرب ، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي، ص 218-219.
[2] يوسف خليف : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، ص 225.

وطرافة الصورة أن الشنفرى يضفي صفات التصعلك على جواده فهو جواد هزيل كصاحبه ، جنى عليه الفقر والجوع ، ولكنه كصاحبه أيضا مقدام ،كأنما يشعر كما يشعر صاحبه بأن الحق للقوة ، وأن الرزق في الشجاعة وأن الجواد الكامل كالصعلوك الكامل [1].

وتأتي طرافة الصورة أيضا من أن الشنفرى يلون صورة جواده بألوان مغامراته هو فإذا جواده صورة منه ، كم جرى من خيل سمينة قوية موثقة ، كشأنه هو مع أفراد مجتمعة الأغنياء ، وهكذا يقدم لنا الشنفرى جواده على أنه جواد صعلوك . فإذا ما قتل الشنفرى وفزع صديقه الحميم وأستاذه تأبط شرا لأحزانه عليه يستمد منه رثاءه له ، ولم ينس ذلك (الجواد الصعلوك) فخصه ببيتين رائعين من مرثيته ، عند حديثه عن الرسائل التي كان يعتمد عليها الشنفرى في قتاله : عزمه وقوسه ، وسيفه وفرسه .

وأشقر غيداق الجراء كأنه عقاب تدلى بين نيقين كاسن .

يجم جموم البحر طال عبابه إذا فاض منه أول جاش آخر [2]

أما طرفة فقد ذكر الخيل في أمانيه الثلاث عدها من لذة الفتى التي لا يبالي الموت إذا فقدها ، فإن ثاني الأشياء التي يحرص على الحياة من أجلها كره لإغاثة الملهوف ونجدة المستصرخ المكروب ، فرسا في يده أنحناء قليل وهذا محمود في الخيل ، فإذا فحش كان مذموما ، وكأن هذا الفرس ذئب الغضا في ورود الماء أثير وأفزع، وهو إذا كان فيه هذان الأمران كان أسرع ما يكون من الحيوان عدوا وأخفه حركة وأكثره نشاطا في معلقة لبيد قليل من ذكر الخيل ، وذلك حين فخر بحمايته الحي حاملا سلاحه ومعه فرس متقدمة سابقة في العدو وقد توشح بلجامها وذلك أن الفرسان كان أحدهم يتوشح بلجام فرسه ليكون ساعة الفزع والحاجة إلى الركوب قريبا منه ، وأنه خب بها ، ثم أحضر بها ثانيا ، فلما عرفت خفت أعضاؤها للعدو فاشتدت في عدوها اشتدادا قلق له رحلها وسال منه نحوها عرقا وابتل

[1] المرجع السابق ، ص 225.
[2] المرجع نفسه ،ص 227.

حزامها من ذلك العرق وهي ترفع رأسها نشطا ، وتجذب عنانها من كف راكبها ، وتعتمد في سيرها ، وكأنها هامة وقد جد جماعتها في طلب الماء استكثره ما نالها من العطش .[1]

ووصف عمرو بن كلثوم الخيل حين ذكر صنيع قومه بسادة غيرهم ، من الذين يحمون اللاجئ إليهم ويدفعون الضيم ، ولا يفزعها مفزع ، وحين ذكر أن قومه أبدا على أحد حالين : فأما إذا خشوا على بنيهم من العدو أصبحوا متيقظين مستعدين للقتال للمدافعة عنهم ، وأما يوم لا يخشون عليهم فيتركونهم في منازلهم، ويمنعون في الغارة على الأعداء وطلب الكسب وحين ذكر أن ما يحملهم يوم الفزع هي الخيل الجرد ، وهي قصيرة الشعر وهو وصف لكرائمها ، وقد استفدوها من قوم آخرين فاصطفوها وتخيروها ، ويعلف هذه الجياد كرائم نسائهم عناية بها ، وإدراكا لأهميتها .

وقد بلغ من معزتهم لها أنهم كانوا يذودون عنها في حومة الوغى ، لأنها تخوض بهم المعاركة فإذا أصابها شيء ضعف الفارس ، وقلت مناعته ولذا وجب عليه حمايتها .

قال الشاعر :

أقيه بنفسي في الحروب وأتقي بهادية إني للخليل وصول [2]

فهذا الفارس يرى في الجواد خليلا له ، وأي خليل أصدق من هذا الذي يرافقه والموت دان والسيوف تقطر منها المنايا ، ويصبر معه على السراء وينجيه من البأساء ، ويتبادل وإياه المنفعة على قول ضبيعة العبسي :

يقيني باللبان ومنكبيه وأحميه بمطرد الكعوب

وأدفيه إذا هبت شمال بليل حرجف عند الغروب [3]

أو قول أخر :

[1] بدوي طبانة : معلقات العرب ، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي، ص 218.
[2] عمر الدسوقي : الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا، ص 43 .
[3] المرجع نفسه : ص 43.

أتقى دونه المنايا بنفسي وهو يغشى بنا صدور العوالي

فإذا مت كان ذاك تراثي وسخالا محمودة من سخالي [1]

بل كانوا يعودون الخيل أن تطأ القتيل ، وتجهز عليه ، مثل فرس زيد الخيل الذي ظلع في أثناء المعركة فأخذه بنو الصيداء فصلح عندهم فناشدهم زيد الخيل أن يردوه وقال لهم:

يا بني الصيداء ردوا فرسي إنما يفعل هذا بالذليل

لا تذلوه فإني لم أكن يا بني الصيد المهري بالمذل

عوده كالذي عودته تلج الليل وإيطاء القتيل [2]

ويقول زيد الخيل واصفا إحدى غاراته على بني قرارة ، ومشيرا إلى ما به جواده في المعركة

فما زلت أرميهم بقرة وجهه وبالسيف حتى كل تحتي وتلبذا

وإذا شك أطراف العوالي لبانه أقدامه حتى يرى الموت أسودا[3]

وكانت الخيل جنة الفرسان في حومة الوغى ، يعدون بها ويكرون وتحميهم من طعنات الرماح وحد الظبي وإذا اشتدت المعركة وحمي وطيسها ، وعناق المعترك نزلوا عن الخيول ، وهم لا ينزلون عنها إلا إذا كانوا شجعانا واثقين من قوتهم وفتوتهم وخبرتهم باستعمال السيوف ، فلا ينزل إلا أولو البأس والنجدة والشدة ، استمع إلى ربيعة بن مقروم يصف فرسه في المعركة وكيف نزل عنه دعي لنزول قال :

[1] عمر الدسوقي: الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا، ص 43 .
[2] المرجع نفسه ، ص 44.
[3] المرجع نفسه ، ص 45.

وإذا جرى منه الحميم رأيته يهوى بفارسه هوي الأجدل

وإذا تعلل بالسياط جيادها أعطاك ثائبه ولم يتعلل

ودعوا نزال فكنت أو نازل وعلام أركبه إذا لم انزل [1]

فهم لشجاعتهم لا يعتصمون بظهر الخيل ، بل حالهم في القتال على الخيل كحالهم بدونها ، ومن أنسى في نفسه الشجاعة والمقدرة على القتال وهو راجل نزل ، ومن رأى أنه في مأمن على ظهر جواده وأنه إن نزل لن يكون مفلجا اعتصم به ، ولذلك كان من دواعي فخرهم أن ينزلوا عن الخيل حين تشتد المعركة ، ويلتحم الفريقان ويضيف المجال أمام الجياد حتى لا تستطيع العدو وفي هذا يفتخر المهلهل بقوله :

لم يطيقوا أن ينزلوا فنزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا [2]

والفرس كذلك في شعر الجاهليين كريم ، ضخم الهيكل ، مكتنز اللحم ، يصب عدوه صبا ، وهو ضامر الخصر عظيم الأضلاع ، ممتلئ الجنبين وهو يطوي الأرض طيا يزداد نشاطا كلما زاد عدوا ، مجمل قولهم فيه يعود إلى النشاط والسرعة وكرم الأصل ، وقد شبهوه بالعقاب ، وشبهوا كل جزء منه بما يوضح القوة و الاكتنان والشدة والسرعة ، قال امرؤ القيس : **له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل** [3]

ونجد في معلقة زهير : ذكر العهن وهو القطن مصبوغ أو غير مصبوغ والمراد به في هذا البيت المصبوغ لأنه شبهه بحب الفنا وهو شجوله حب أحمر ، وهو الذي يقال له عنب الثعلب حيث يقول :

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم [4]

[1] - المرجع السابق،ص46.
[2] المرجع نفسه: ص 46.
[3] الأعلم الشنتمري : ديوان امرىء القيس ، ص 86.
[4] بدوي طبانة : معلقات العرب دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي ص 214.

فالفتات اسم لها أنفت من الشيء أي تقطع وتفرق ، وأملأ من الفت وهو التقطيع والتفريق .

وفي معلقة لبيد التي يقول فيها :

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها

عريت وكان بها الجميع فأبكروا منها وغير توئيهاوثمامها

حفرت وزايلها السراب كأنها أبزاع بيشة أثلها ورضامها [1]

فهو ذكر الأيهقان وهو عشب يطول وله وردة حمراء وورقه عريض ويؤكل أو هو الجرجير البري واحدته أيهقة ، الواحدة أثلة.

وفي وصف الفرس تكثيف للمادة اللفظية مجاراة لأسلوب الجاهليين في وصف الحيوان ولكن تحت هذا التكثيف المستمر عاطفة وفاء لفريق الحياة ، وعاطفة إعجاب بالكمال الفرسي ، وعاطفة مفاخرة بالجواد الأجواد ، والإعتزاز بها.[2] في مثل قول الأخطل :

وتنسب لعبد الله بن عباس :

أحبوا الخيل واصطبروا عليها فإن العز فيها والجمالا

إذا ما الخيل ضيعها أناسا ضممناها فشاركت العيالا

لقاسمها المعيشة كل يوم ونلبسها البراقع والجلالا [3]

[1] لبيد بن ربيعة ،الديوان ، دار صادر بيروت، ص 98.
[2] بدوي طبانة ، معلقات العرب دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي ، ص 214.
[3] علي بن عبد الرحمان بن هديل الأندلسي:حلبة اتلفرسان و شعار الشجعان، ت عبد الغاني حسن،دار المعارف، ص118.

هذا بعض ما وصفه الجاهليون ، وتلك بعض معانيهم ، وهي أكثرها تشبيهات وتمثيلات حسية حافلة بالحركة ناطقة بالقوة التي يعشقها ابن الصحراء ، إنه اندفاق طفولي مغرم بالألوان الظاهرة التي يطلق فيها خياله الحسي.

1. صورة الفرس في شعر امرئ القيس :

موضوعات الأدب الجاهلي كثيرة ، ولكنها قابلة للترابط ولا يمكن أن يستقيم الفهم إذا لم يشق القارئ على نفسه بالحث عن التماسك أو الترابط الممكن بين معارض التفكير التي يتناولها الشاعر ومغزى التفكير لا ينفصل عن ارتباط أجزائه ، وهذه المسألة الأساسية التي تواجه الباحث في الأدب الجاهلي ، وبعبارة أخرى إن مغزى الأدب الجاهلي وارتباط أجزائه سواء في المعنى .وكثيرا ما تحدث النقاد عن وصف الخيل وكثيرا ما أشادوا ببعض الأفراس ولاحظ الباحثون المتقدمون أن بعض الشعراء أعلم بالخيل فكان " طفيل الغنوي " يلقب باسم طفيل الخيل لجودة وصفه إياها واشتهر شعراء آخرون بإيجاد التعبير عن الخيل وغذوا الشعر العربي بها . والناس يسمعون عن امرئ القيس ، فقد حاز شهرة واسعة وعرف المتقدمون له قدرته على الحديث في الخيل فضلا عن موضوعات كثيرة ، وربما كان فرس امرئ القيس أكثر الأفراس شهرة في الأدب العربي والجزء الخاص بالفرس في معلقة امرئ القيس متداول ومعروف [1]. حيث يقول امرؤ القيس :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

على الذبل جياش كان اهتزامه إذا جاش فيه حميه على مرجل

مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن الغبار بالكديد المركل

يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل [2]

[1] محمد ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، دار الأندلس للطباعة والنشر ط2، 1401 هـ / 1981 م ، ص 75-77.
[2] محمد الاسكندراني ونهاد رزوق،ديوان امرىء القيس،ص33.

دير كخدروف الوليـد أمره تتابع كفيه بخيــط موصل

له أيطلا ظبي وساقا نعامــة وإرخاء سرحان وتقريـب تتفل[1]

والناس يتناقلون هذا الوصف ويعجبون به جيلا بعد جيل ، وهناك ملاحظة واضحة وهي أن امرئ القيس علم الشعراء كيف يتحدثون عن الخيل ، أعني أن مكانة الشاعر ليست مرهونة بجودة تفكيره ، وإنما استطاع أن يغزو عقل الشعراء في كل ما قال سواء في موضوع الخيل أم في غيره من الموضوعات والذي يريد أن يقدر صيغ امرئ القيس عليه أن يتتبع صيغ الشعراء في الخيل من بعده ، وسوف يرى أنهم لم يستطيعوا الانفكاك من أسر امرئ القيس فقد فتح لهم أبواب المعاني التي يدخلون منها ، فرس امرئ القيس نافذ – إذن – في الشعر الجاهلي وغيره ، وكل فكرة من أفكار ، سرعان ما أصبحت شركة بينه وبين غيره من الشعراء ، فكل الشعراء أعجبوا بالمقارنة بين الفرس والسيل وكل الشعراء جعلوا الفرس الذي أصابه الدم ، وكلهم شعروا بأن هذه الصورة جزء عزيز من جمال الفرس .

والشعراء جميعا حرصوا على أن يكون ظهر الفرس أملس مثل مداك العروس . وكذلك حرسوا على أن يجعلوا فرسهم مهيب الطلعة والجسم كما وضع امرؤ القيس . ومن ثم كان فرس الشاعر هو المثال الذي نظر إليه كل المبدعون ، وأرادوا أن يخلدوه ، فلم يظفر فرس بالبقاء كما ظفر فرس أمير كندة ومع ذلك فإن هؤلاء المعجبين من الرواة والنقاد لم يفصحوا عن اعجابهم بهذا الفرس وبقى امرؤ القيس خليقا بالإعجاب من ناحيته معجزا للناس عن أن يصفوا سره من ناحية أخرى فرس أمرئ القيس يعتمد اعتمادا غريبا على فكرة السيل وكل الشعراء ربطوا بين فكرة الفرس وفكرة السيل.[2]

قال امرؤ القيس إن الفرس يشبه الصخرة التي سقط بها السيل من قمة عالية ، ويبدوا السيل في هذه العبارة – إلى حد ما – أهم من الصخرة نفسها ، ثم عاد امرؤ القيس ، فأثبت من جديد فكرة السيل وذلك في قوله :

[1] المصدر السابق ، ص 34.
[2] المصدر نفسه ، ص ن.

كميت يزل اللبد من حال متنه كما زلت الصفراء بالمتنزل[1]

صحب الفرس الشاعر أيام لهوه وصباه ، ويمتطيه للنزهة والتروح والصيد وشهد معه أعراس اللذة التي كان يقيمها الشاعر في الرياض حول الماء في أحضان الصحراء ، ناعما بمناعم العيش ، فرحا بالطبيعة في ثباتها وجمادها وحيوانها وفي صحوها وأضوائها وظلالها مقبلا عليها إقباله على خوان شهي .

وصحب الفرس ، أيضا امرئ القيس بعد أن تحول إلى ملك ضليل خلوان الحياة وصحرائها ، بتخطفه فيها سراب الأمل ويحيط به اليأس والوحدة والشعور الحاد بالهزيمة والفشل . ولقد كان الفرس رفيق الشاعر بل ربيبه ، ألف معاشرته وتعرف على طباعه وشاهده يعدو يقبل ويدبر ، ونظر إلى ملامحه وأعطافه ، فرأى فيها الرونق والجمال وكأنه رائعة من روائع الطبيعة ، به أدركت غايتها وأوفت إلى كمالها .

إلا أن الفرس الذي يصفه امرؤ القيس في شعره ، يمثل جانبا واحدا من جوانب حياته جانب اللهو والصيد والمجانة ، فهو فرس سرعة وجمال ، يحي حياة صاحبه ، يباكر الوحوش و يترصدها و يتروض باللحاق بها والالتفاف عليها ، وقلما نشهد فيه جانب الفروسية والبطولة فهو يخالف فرس عنترة الذي يتراكم عليه غبار المعارك وتصيبه الطعنات فيئن ويتوجع ، لكنه يجالد ، رافضا الهزيمة وفرس عنترة تخشاه الدماء وفرس امرئ القيس يخضب نحره بالدماء أيضا ، إلا أن الأول يخضب بدمه أو بدم الفوارس ، أما الثاني فيخضب بدم الطرائد ، الأول بدم القتال ، والثاني بدم اللهو ولسنا نقع على وصف الفرس الحربي إلا في نبذ قليله لا تعدو خمسة أبيات اثنان منها ظهرا في الرائية التي قيل أنه نضمها في طريقه إلى الروم [2].

وإني زعيم إن رجعت مملكا بسير ترى منه الفرانق أزوزا

[1] المصدر السابق ،ص 34 .

[2] إيليا الحاوي : امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1970 / 1981 ، ص 83 ، 84.

على كل مقصوص الذنابئ معاود بريد السرى بالليل من خيل بربرا [1]

وفي البيت الثاني نلمس إشراقة ووجدانية جعلت الفرس يحمل بريد وكأنه ضليل كالشاعر نفسه ، يخوض في كل متاعه ، يصارع ويواجه القدر واليأس تارة ، والقدر والفرح تارة وهذه الفلذة تخرج من طبيعة الوصف الذي تناول به أفراسه ، وهذا يشبه ما ألفناه في جواد عنترة من معاناة للألم و المصاعب ومواجهة و حمحمة من الضيق والعذاب و غيرها من هذه الآلام .

والبيتان الآخران جاءا في إحدى دالياته ، التهديدية حيث وصف عدته الحربية من ذرع ورمح وفرس:

وأعددت للحرب وثابة جواد المحثة والمـرود

سبوخا جموحا وإحضارها كمعمعة السعف في الموقد [2]

وهذا البيت الذي لا يعدو ومطلع قصيدة ذكر فيها شخوصه إلى الحرب على متن فرس قصيرة الشعر قليلة اللحم طويلة متناسبة.

قد أشهد الغارة تحملني جراء معروفة الجبين سرحوب [3]

وفيما عدا ذلك لا نقع على أوصاف الفرس إلا في موضوع اللهو والصيد يباشر الوصف في مثل قوله:

وقد أغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليدين قبيض

وقد أغتدي والطير في وكناتها لغيت من الوسمي رائده خال

[1] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوا ن امرئ القيس ص 82.
[2] المصدر نفسه ، ص 83.
[3] الأعلم الشنتمري، ديوان امرئ القيس، ص134.

وقد أغتدي قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المطق[1]

ونحن نكشف التقليد اللفظي والمعنوي ظاهرا في هذه الأبيات في الشطر الأول منها مما يدخل في تصورنا واعتقادنا أن القصيدة الجاهلية القديمة عرفت نمطا تقليديا ، أو نوعا من الطقوس النظمية نكررها وننطلق منها .

فنحن لا نكاد نعثر على لفظة " أغتدي " حتى ندرك أن الشاعر انتقل إلى وصف الفرس الرفيق الدائم والصديق التابع له ولا نكاد نعثر على ذكره للتروح من الهموم والأحزان المثقل بها .

أما فيما يخص قوله في البيت الأول " المذنب " مسيل الماء إلى الروضة يقول غسلت قبل خروج الأطيار من أوكارها في ليلة كثيرة المطر تسيل منه المذاب ، وأراد بالندى المطر يصف نفسه بالجلد وحمل النفس على المشقة فما يكسبه المجد والشرف فلا يشق عليه البكور ذلك على أثر المطر وتعذر السفر في أثره ، ويستعمل فيقول امرئ القيس :

بمنجرد قيد الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأ و مغرب

على الأين جياش كان سراته على الضمد والتعداد سرحة مرقب [2]

الهوادي المتقدمة السابقة ، والشأ و الطلق والمغرب البعيد ويقول

المعلق بالبيت 49 وقوله على الأين جياش أي هو سريع بعد فتوره وإعيائه وسراته أعلاه والتعداد وكثرة العدو ، والسرحة ما عظم من الشجر وطال والمرقب ما أشرف من الأرض وسمي بذلك لأن الرامي يرقب فيه العدو ، وبيشبه أعلى الفرس على تضميره وكثرة عدوه بأعظم الشجر في أعلى الأماكن وإنما أراد أشراف الفرس وارتفاعه وعظم خلقه حيث يقول :

يبارى الخنوف المستقل زماعه ترى شخصه كأنه عود مشجب

[1] إيليا الحاوي: امرئ القيس شاعر المرأة والطبيعة ص، 85-86.
[2] الأعلم الشنتمري : ديوان امرئ القيس ، ص 134.

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرقب [1]

والخنوف الذي يخنف بيديه ، أي يرمي بها في السير وهو في وصف الحمار الوحشي ، والزماع لذوات الظلف واستعارها هنا لشعر الرسغ وجعلها مستقلة لأن ذلك أسرع له وأكمش إن كانت تمس الأرض كان ذلك عيبا ، ويقول هذا الفرس يباري بسرعته ونشاطه الخنوف ، وقوله ترى شخصه وصف الفرس بالصلابة والإملاس والضمر فشبهه بالمشب لذلك ، وقوله وصهوة غير قائم شبه ظهر الفرس بظهر العير في اعتداله واستوائه وجعله قائما لأنه إذا قام تمدد واعتدل واستوى ، وإذا عدا اضطرب ، وجعله فوق مرقب لأن ذلك مما يبين استوائه ويزيد في تمام خلقه وحسن منظره [2].

ونحن نسوق بعض الفلذات من تلك الأوصاف التي خص بها امرؤ القيس الفرس والمتعلقة باللون والحجم والأعضاء وبعض طبائعه ، عثرنا عليها هنا وهناك في خبات شعره وقصائده الطويلة دون أن تلتحم بلحمة واحدة وهذا أمر يدخل في الجانب الفني في القصيدة نتطرق إليه لاحقا ، فحين يقول في إحدى أبياته كما قد أسلفناه :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيــكل

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

على الدبل جياش كأنه اهترامه إذا جاش فيه حميه على مرجل

مسح إذا ما السابحات على الوني أثرن الغبار بالكديد المركل

يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل [3]

---

[1] المصدر السابق، ص 137.

[2] المصدر نفسه ،ص137.

[3] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق ، ديوان امرئ القيس ص 95.

إلى قوله كما يجدر بنا الإشارة أن هذه الأبيات سبق ذكرها حيث نصل بالقول إلى قوله :

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل [1]

فهو قد يغتدي والطير ما زالت في أعشاشها أي مكانها ، ويمتطي فرس قصيرة الشعر يقيد الوحوش لسرعته إلى مثل البرق ،/ عظيم الهيكل ، أي ضخم ، يكر ويفر أي الهجوم والرجوع فهذا الفرس لشدة سرعته فكأنما يقوم بالحالات المتضادة معا من وفر وإقبال وإدبار فلا يستطيع الناظر أن يميز بين الواحدة والأخرى وهو في هذه الحالة كصخر عظيم قذف إليه السيل من الأعلى إلى الأسفل وفي ذلك نلمس دلالة وقوة وسرعة والاتجاه في خط واحد مستقيم من خلال ما فهمناه من قراءتنا المتكررة للأبيات نلمح هذه الصفات التي أضفاها امرؤ القيس على فرسه الذي ميزه عن باقي الشعراء الآخرين ، " أما فيما يخص اللون فإننا نعرف أن الكميت هو الفرس ذو سواد وحمرة قاتمة ، كذلك إنه صقيل المتن حتى أن اللبد يزل عنه ويجري جريا جياشا ، كثير الحركة والنشاط كأنه إذا دبت فيه الحرارة والحمية يغلى كالقدر ، يصب سيره صبا ويقفز به قفزا بخلاف الخيل التي تجري وكأنها تسبح في الماء ، ولا يثير أي غبار من الأرض الصلبة إذ لا يركلها بأرجله وحوافره ، كأنه لا يلامس الأرض بل يدقها من شدة السرعة [2].

لقد نقلنا امرؤ القيس إلى عالم الخيل والفروسية إلى عالم الفرس الذي معه في فلواته وكره ، وفره ، حيث يواصل امرؤ القيس وصف فرسه مفتخرا به ،اذ انه يسقط الغلام المتمرس بركوب الخيل عن متنه،ويرمي بالرجل الثقيل إذ لم يكن جيد الفروسية ، يعدو سريعا ، أي أنه يزداد سرعة بقدر ما يزداد عدوا كدوامة الوليد التي احكم لف الخيط الطويل عليها لتفشاها السرعة غشيانا ، خاصرتاه خاصرتا ظبي وشبه ساقيه بساقي النعامة في الطول والانتصاب ، لأنها طويلة الفخذين ويستحب ذلك من الفرس ، سرعته أيضا سرعة ذئب وجريه جري ولد ، والسرحان الذئب وجمعها سراح كضياء وسراحين وشبه إرخاءه وهو

[1] المصدر السابق ، ص 36.
[2] إيليا الحاوي :امرئ القيس،شاعر المرأة والطبيعة ،ص 86،87.

يسير ليس بالشديد وشدة العدو أيضا ، وفوق التقريب وأرخى دابته سار هكذا فهي مرخاء كإرخاء الذئب وليس دابة أحسن إرخاء منه ، وشبه تقريبه في الجري بتقريب الثعلب وهو حسن التقريب ، والتنقل ، وتنفذ ، ودرهم وجعفر وزبرج وسكر وجندب ، وهو الثعلب أو جروه ، وإنما أراد الثعلب بعينه والتقريب ضرب من العدو وهو أن يرفع يديه معا ويضعها معا وقوله مداك عروس ، أي يبرق كما يبرق هذا الحجر الذي يستحق عليه الطيب وخص العروس لأنها قريبة العهد بسحق الطيب ، فمداكها براق والصرايا الحنظلة الصفراء البراقة وإذا لم تصفو فهي معبرة أي هو يبرق كما يبرق هذا الحجر ، والصرايا أيضا نقيع ماء الحنظل وهو أحمر صاف ويروي صرابه بالياء الموحدة من أصراب الشيء أي أملاس وصفها بالملوسة والصفاء وحارك الفرس إذا اعترض فنظرت إليه بحصرة الطيب وصراية الحنظل في ملامستها وبريقها وكتف كفوح ومثل جبل ، ويروي غارة سرحان وغارته شدة عدوه .

ونجد في مثله قوله :

وبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائما غير مرسل

فعز لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل [1]

يعني أنه كان مرتقبا الصباح ليصيد فلم يحط عنه سرجه ولجامه وقوله وبات بعيني قائما أي حيث أراه لكرامته علي ، وقوله غير مرسل أي لم أهمله لأني مستعد لركوبه ويروي عير معقل ، وقوله فغن لنا أي ظهر لنا وعرض لنا ، والسرب قطيع الظباء وبقر الوحش ونعاجه وإناثه ونعاج الرمل بقر الوحش ولا يقال لغير بقر الوحش ودوار ككتاب ويضم وكشداد الكعبة لأهل الجاهلية يدورون حوله ، ويشبه إناث هذا البقر بجوار أبكار يطفن بهذا الضم ، والملاء الملاحف الواحد ملاءة بالضم للريطة ، المذيل الطويل ، الذيل المهذب شبه البقر في مشيهن وطول اذيالهن وبياضهن بالعذارى في الملاء المذيل وفي البيتن 60 يقول:

[1] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان امرئ القيس ، ص 36.

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد مغم في العشيرة مخول

فالحقنا بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل [1]

شبه بقر الوحش في بريقهن وما فيهن من البياض والسواد بالجزع وهو الخرز اليماني فيه سواد وبياض، والمفصل الذي فصل بينه باللؤلؤ وهو أصلح للخرز، وقوله بجيد معهم أي بعنق صبي كريم العم والخال وخص الخرزبان يكون غلا نفسيا منتخبا وقوله فألحقنا بالهاديات أي ألحقنا الفرس بالمتقدمات من البقر والجواحر ما تخلف منها والصرة الاجتماع ومعنى لهم تزيل لم تفرق أي لم تتفرق أي جميع الفرس بين أواخرها و أوائلها فلم يفته منها شيء ، وقال أيضا :

فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضج بماء فيغسل

فظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

فدحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترق العين فيه تسفل

كأن دماء الهاديات بنحر عصارة حناء بشيب مرجل[2].

والطرف الفرس السريع وقيل الكريم الطرفين وقوله متى ما ترق العين ويقول هو حسن الأعلى والأسفل فالناظر إليه يصعد فيه النظر ويصوبه عجبا به ويحتمل أن يريد أنه لعتقه وتمام خلقه إذا ارتفعت عين الناظر بالنظر إليه راعه منظره فخشي أصابته بعينه فصوب رأسه و كف عنه نظره وقوله كأن دماء الهاديات بنحره شبه دم الوحش بصدر هذا الفرس بعصارة الحناء على الشيب وإنما أراد بشيب قد غسل عنه الحناء فرجل وعصارته ما عصر منه وإنما أراد أن حمرة الدم بصدره كحمرة الخضاب في الشيب ولم يرد أنه أشهب لأنه قد وصفه بالكمة ولأن العرق قد يبس منه فابيض لأنه قد نفى ذلك عنه بقوله ولم ينضج بماء فيغسل فيقول :

[1] الأعلم الشنتمري ديوان أمرئ القيس بن حجر الكندي ص 87 -90.
[2] المصدر نفسه، ص 88.

وأنت إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل

أحار ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين في حبى مكمل [1]

والفرج ما بين رجليه ، والضاف الذيل الطويل ، وقوله فويق الأرض أي ليس بالطويل فيطأ عليه ولا بالقصير فيبعد عن الأرض ، والأعزل الذي يكون ذنبه في ناحية وهو مكروه وقوله استدبرته أي قمت خلفه وفويق تصغير فوق أي لا يمس الأرض ولا يرتفع عنها كثيرا ، وإنما هو بين هذا وذاك ويكره من الفرس أن يكون أعزل وأن يكون قصير الذنب أو يكون طويل الذنب حتى يطأ عليه ويحمد عليه أن يكون ذيله تماما سابقا ويستحب معه قصر العسيب ، والوميض لمع البرق وقوله كلمع اليدين شبه انتشار البرق وتشعبه بحركة اليدين وتقلبهما والحبي ما حبى من السحاب أي عرض لك وارتفع ويقال هو المتداني والمكلل الذي في جوانب السماء كالإكليل ويقال هو الذي بعضه على بعض [2].

1.1. وصف شكل الفرس وأعضائه :

أنه قصير الشعر ، عظيم الهيكل مرتفع الهامة يميل لونه إلى الحمرة القاتمة ، صقيل المتن ، يزل اللبد عنه ، خاصرتاه خاصرتا ظبي وساقاه ساقا نعامة ، قوي الأضلاع ، يسد فرجه بذنب غزير الشعر ، مستو ، وهو لعظم هامته يبدو كالحجر الذي يسحق الطيب والحنظل .

2.1. وصف سرعته وقوته :

يكر ويفر ويقبل ويدبر كصخر حطه السيل من عل

يجيش جياشا في جريه وتغلى فيه حميته كالمرجل

يصب خطوته صبا فلا يثير الغبار ، تزداد سرعته

بازدياد عدوه كدوامة الوليد وقد اتم في البائية

(التي تنافر فيها مع علقمة بوصف مسهب للفرس ، أحاط فيه بما لم يحط من قبل وقد استهله على عادته بذكر غدوة مستطردا على سائر أوصافه [3]

[1] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان امرئ القيس ص : 28.
[2] المصدرنفسه ، ص : 91-92.
[3] إيليا الحاوي : امرئ القيس : شاعرة المرأة والطبيعة ص 91-90.

يقول امرئ القيس :

وقد أغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجرى على كل مذنب

بمنجرد قيد الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأ ومعرب

على الأين جياش كان سراته على الضمر والتعداد سرحة مرقب

يباري الخنوف المستقل زماعه ترى شخصه كأنه عود مستجب

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرقب

ويضيف أيضا :

وعين كامرأة الضاع تديرها لمحجرها من النصيع المنقب

له أذنان تعرف العنق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ربرب

ومستفلك الدفرى كأن عنانه ومثاناته في رأس جذع مشدب [1]

فالشاعر قد يباكر الصيد والطير لم تبرح أعشاشها وقطرات الندى لم تجف على قنوات الروض ، بفرس قصير الشعر ، يسيق الوحوش ويلتف عليها ، فيقيدها عن السير أهزله طراد هواديها دون انقطاع ، وهو بالرغم من التعب والضنك لا يفتأ ، كثير الحركة جياشها يظل مرتفع الهامة ، عالي الظهر ، كشجرة مرتفعة والمرقب المشرف من أعلى يجاري الحمار الوحشي الذي أطلق عنان ساقيه ، ورفع الشعر الذي خلف اليتيه ، وفي سيره المطرد الحثيث . كأنه مشجب تنشر عليه الثياب ، ساقاه ساقا نعامة وخاصرتاه خاصرتا الظبي وظهره ظهر حمار وحشي ، قائم فوق مرتفه ، وإذا خطا ، فيخطو بحوافر صعبة صلبةكأنها حجارة في ماء جار على وجه الأرض ، تخضبت بالطحلب وغشها الأصفرار أما كفله فكثيب من الرمل ، تراكم عليه الندى وجعله صلبا وصدره كأعمدة الهودج الرحب وعينه شبيهة بمرآة المرأة الحاذقة الضعة ، التي تحدف فيها بمحبرها من خلال غلالة مثقبة وأذناه كأذني حمار الوحش المذعورة في سربها ، ورأسه مستدير على عنق طويل ، قصير الشعر كأنه حبل مشدود إلى جذع نخلة مشذبة ، وذنبه أسود ممتلئ العظم كأنه عنقود النخيل وهو

[1] الأعلم الشنتمري : ديوان امرئ القيس ، ص 35 .

يمضغ النبات الأصفر يدير مقعد ردفه كالبركة ، تمضي به يوما إلى سرب من الغزلان النقية الجلود ،ويوما على القطيع من الحمر الوحشية ذوات الولد [1].

[1] المصدر السابق، ص 91.

2. أنساب الخيل :

كانت العرب تربط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفة لفضلها وما جعل الله تعالى فيها من العز ، وتشرفا بها وتصبر على المخمصة وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد وتفتخر بذلك في أشعارها وتعتد لها .

فلم تزل على ذلك من حب الخيل ومعرفة فضلها حتى بعث الله نبيه عليه السلام فأمره الله باتخاذها وارتباطها ، فقال :"وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " [1] فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل وارتبطها وأعجب بها ، وأعلم المسلمين ما لهم في ذلك من الأجر والغنيمة وفضلها في السهمان على أصحابها ، فجعل للفرس سهمين ولصاحبه سهما، فارتبطها المسلمون وأسرعوا إلى ذلك .وعرفوا ما لهم فيه ورجعوا عليه من الثواب من الله عز وجل والتثمير في الرزق ، ثم راهن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل لها سبقة ، وتراهن عليها أصحابه ، وأول من ارتبط فرسا في سبيل الله (عز وجل) سعد بن معاذ .

وكان عروة البارقي له في داره سبعون فرسا ، رغبة منه في ارتباط الخيل ، وحبس زيد بن ثابت خمسة أفراس في أنطاكية وبعث عليها رجلا ، وذات حين سمع الحديث :

من حبس فرسا في سبيل الله كان له سترة من النار.

وأجرى رسول الله فرسه الأدهم في المحصب بمكة فجاء فرسه سابقا فجاء الرسول على ركبتيه ثم إذا مر به ، قال :[2]

" إنه لبحر ! قال عمر بن الخطاب ": كذب الحطيئة في قوله :

وإن جياد الخيل لا تستفزني ولا جاعلات العاج فوق المعاصم [3]

---

[1] سورة الأنفال : الآية 60.

[2] ابن الكلبى ، أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، تحقيق المرحوم أحمد زكي ، دار الكتب ، القاهرة ، مصر ، 1965 م ، ص 68-69

[3] المرجع نفسه ص 8.

وكانت فرس تدعى جروة من خيل غطفان بن سعد " فرس شداد بن معاوية (العبسي) أبي عنترة (ويقال فارس جروة ولها يقول :

فمن يك سائلا عني فإني وجروة لا تباع ولا تعار

مقربة الشتاء ولا تراها وراء الحي تتبعها المهار

لها بالصيف أصرة وجل وسبت من كرائمها غزار

ألا أبلغ بني الشعراء عني علانية وما يغني السرار

فقلت سراتكم وحسلت منكم حسبيلا مثل حبسل الوبار [1]

وعن ابن الأعرابي أنه عم عنترة ، وعند ذكره أفراس عنترة قال : عنترة بن عمرو بن معاوية (والمعلوم أني في نسب هذا الفارس الأشهر خلافا كبيرا)

وكذلك الأبجر (من خيل غطفان بن سعد)، فرس عنترة بن شداد العبسي وهو الذي يقول فيه:

لا تجعلي ! أشدد حزام الأبجر إني إذا الموت دنا لم أضجرَ!

ولم أمن النفس بالتأخر![2]

ومنها فرس عنترة بن شداد : الأدهم **(من خيل غطفان بن سعد)** وهو الذي يقول فيه :

يدعون عنترة ، والرماح كأنها أشطان بئر في لبان " الأدهم " [3]

الأبجر ذكره العدجاني وأورد مشاهده ، " وأما التاج " فقد اكتفى بقوله :

[1] ابن الكلبي ، تحقيق المرحوم أحمد زكي : أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام أخبارها ص 68.
[2] المرجع نفسه ، ص 68 .
[3] المرجع نفسه ، ص 69.

الأبجر فرس الأمير عنترة ابن شداد العبسي وله فيه أشعار قد دونت ، وابن الأعرابي قال :إنه لعنترة أو لغيره . والأدهم الفرس الأسود ، فإن قالوا : أدهم بهيم فهو الأسود الذي لاشية فيه عن التاج .[1]

- ومنها " وجزة " من خيل غطفان بن سعد ، فرس زيد بن سنان بن أبي حارثة المرى الذي يقول فيها :

لما أن رأيت بني حي عرفت شناءتي فيهم وترى .
رميتهم بوجزة إذا تواصوا ليرموا نحرها كتبا ونحرى [2]

- ومنها محاج (من خيل هوزان) فرس مالك بن عوف النصري من بن نصر بن معاوية وهو الذي كان يدعى " الأسد الرهيص" ويقال له فارس محاج وله يقول يوم حنين .

أقدم محاج إنه يوم نكر ! مثلي على مثلك يحمي ويكر [3]

- ومنها العبيد (من خيل بن سليم) فرس العباس بن مرداس (السلمي) الذي يقول فيه :

كانت رزايا تلافيتها بكري على المهر في الأجرع
وإيقاظي الحي عن يرقدوا إذا هجع القوم ، لم أهجع
أتجعل ذهبي وذهب " العبيد " بين عيينة والأقرع ؟

أراد عيينة بن حصن بن حديفة بن بدر ، والأقرع بن حابس وكان العباس يسمى " فارس العبيد "

- ومنها صوبة والصموت من خيل بني سليم فرس عباس بن مرداس السلمي فيه قال :

أعددت صوبة " والصموت " ومارنا ومفاضة للروع كالسحل
فرط العنان كأن ملجمـــها في رأس نابيته من النخل [4].

وروى أيضا أن الشطر الثاني من البيت الأول كالتالي :

والفضول تلوح كالسحل

---

[1] المرجع السابق، ص 69.
[2] المرجع نفسه ، ص 70-72.
[3] المرجع نفسه ، ص 73.
[4] المرجع نفسه، ص 82.

- ومنها البيضاء فرس بحير بن عبد الله بن سلمة بن قشير (بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ويقول لها :

أمخترمى ريب المنون ولم أروع يشعت النواحي يسرح عمرو بن جندب

لو أمكنتني من بسامة مهرتي للاتي كـما لاقى الفوارس قـعنب[1]

هذه بعض مجمل الأسماء التي كان العرب يطلقونها على الخيل فكل اسم له دلالة ومعنى في نفسه لاعتزازه به ، فلقد كان الفرس رفيق الشاعر في سرانه وضرائه فقد أكثر الشعراء قديما من نعت الفرس بالسرعة وذلك أن السرعة أمر لا بد منه لمن يجتاز الصحاري حيث لا ماء ولا غذاء وحيث الأرض حرار ورمال [2] .

ولذلك قال أخو بني عامر يحذر قومه من إهمالهم لخيولهم وعدم عنايتهم بترويضها وإعدادها في كل آونة لخوض غمرات القتال .

بني عامر لماذا أرى الخيل أصبحت بطانا ، وبعض الضر للخيل أمثل

بني عامر عن الخيول وقاية لأنفسكم والموت وقت مؤجل

أهينوا لها ما تكرمون وباشروا صيانتها ، والصون للخيل أمثل

متى تكرموها يكرم المرء نفسه وكل امرئ من قومه حيث ينزل [3]

" ومما يدل على عنايتهم بالخيل ، واعتزازهم لها وتمييزها بأسماء كأنها أناس عاقلة ولاسيما العتاق منها. وقد كان لزيد الخيل ستة جياد أشاد بها في شعره وهي : الهصال والكميت ، والورد وكامل، دؤول ولاحق ، ومن الخيول المشهورة : أعوج ، والوجيه ، وداحس والغبراء ، والنعامة وغيرها .

وقد ألف أكثر من كتاب في الخيول المنسوبة المشهورة وكانت كتب الخيل من أول ما ألف في العربية" .

وكذلك يستحب للفرس أن يكون شبيها في بعض خلقه لبعض الحيوان من ذلك الظبي والكلب والحمار والوحشي والثور والنعامة والبعير ، والأرنب والذئب والثعلب [4] .

---

[1] المرجع السابق ، ص 82.

[2] المرجع نفسه،ص 82.

[3] عمر الدسوقي : الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا ص 42- 43.

[4] علي بن عبد الرحمن بن هديل الأندلسي : حلبة الفرسان وشعار الشجعان تحقيق وتعليق : محمد عبد الفتى حسن ، دار المعارف ، القاهرة مصر ص 70.

3. عـــلاقة الفارس العربي بحصانه :

علاقة الفارس العربي بحصانه علاقة حميمة متينة وطدتها الحاجة وارتباط المصير بين طرفي هذه العلاقة ، فكانت النتيجة سيادة الفارس العربي على الصحراء ودحره لأعدائه وسيادة الخيل العربية على كافة خيل العالم ورأيت هنا أن أورد بعض الأمثلة من شعر العرب فيما يختص بهذا الموضوع فالشعر أبلغ من أي كلام ... يقول عنترة رمز البطولة والشجاعة العربية في وحدة الفارس وفرسه يقول :

ألقي دونه المنايا ينفسي وهو يغشى بنا صدور العوالي [1]

وهنا يصف علاقته بفرسه كما يصف العاشق معشوقته :

أقيه بنفسي في الحروب وأتقي بها ديه إني للخيل وصول [2]

ويقول في موضوع آخر لم أقرأ قط شعر في عظمة توصيف العلاقة بين الفرس والفارس وفي وصف مشاعر الفرس حتى أوصلها لدرجة الإنسانية وأشهد الله أنه لم يكذب ولم يبالغ في وصفه :

يدعون عنترة والرماح كأنها اشطان بئر في لبان الأدهم
مازلت أرميهم بثغرة نحره ولبانة حتى تسربل الدم
فازاور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم [3]

وطبيعة القيسي يدعو لفرسه أن يجازيه الله بفعله الطيب ويصف وفاءه معه في علاقة مصيرية بين الفارس وفرسه لا تدانيها أي علاقة .

جزى الله الأعز جزاء صدق إذا ما أوقدت نار الحروب
يقـيني باللبان ومنكبيه وأحميه بمطرد الكعوب
وأدفيه إذا هبت شمـال بليل حرجف بعد الجنوب [4]

ويقول فضالة بن هند الأسدي مخاطبا فرسه ومذكرا إياه بسابق بره لشحذ همته :

أناصح شمر للرهان فإنها غداة حفاظ جمعتها الحلائب

---

[1] الزرزوني : شرح المعلقات ، ص 118.
[2] المرجع نفسه : ص 89.
[3] أحمد أبو يحي: الحصان في قصائد الجاهليين و الإسلاميين، ص 256.
[4] المرجع نفسه : ص 94 .

أتذكر إلباسك في كل شتوة ردائي وإطعامك والبطن شاغب[1]

ومما ذكرته الخنساء في رثاء أخيها صخر تصف حال "رعدة" فرس صخر بعد موته :

وخيل قد زحفت بخيل فدارت بين كبشيها رحاها

ونرفع فضل سابغة دلاص عدى حيقانه خفق حشاها

فقد فقدتك رعلة فاستراحت فلبث الخيل فارسها يراها [2]

[1] المرجع السابق ، ص 95.

[2] عبد السلام الحوفي :ديوان الخنساء،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ص 83.

1. الصورة الفنية في شعر امرئ القيس :

تدور صور الخيل في الشعر الجاهلي حول تطبيقين أساسين : خيل الغارات وخيل الصيد ، ويسبغ الشعراء على جياد الغارة صفتان كطول القامة ، وصلابة البنيان والغلظة منها ومن فرسانها ، كصوت الخيول التي تطرح حملها وتنقر عيونها العقبان و الرخم وصورتها وقد أدامت الغارات دوائرها وقطعت الحزم أباهرها، وشفها طول القياد، فلم يتبق منها إلا التلائل و الأكفال .

ويهتم الشعراء بصور الحركة في خيل الغارة فهي وثابة ، جموح ، تعسف الصحراء والأكمة " ويسحن أن تراب الأرض منهب " وأشكال هاته الحركة كـ: الإحضار والتقريب والإصغاء والجنوح [1].

وإذا كنا نرى في الخيل جماعتها المغية ، في خيل القنص نرى جوادا واحدا يتحسسه صاحبه بحنان ، وبرمقه باختيار مسرا في نفسه : كل ما فيك نبيل وأنت كنز نفائس وأنا صاحبه .

فشعراء الخيل يصورون الجواد عضوا، ذاكرين ما فيه من العتق.

- **التشبيه:**

والشعراء جميعا – حرصوا على أن يكون ظهر الفرس ، مثل مداك العروس كذلك حرصوا على أن يجعلوا فرسهم مهيب الطلعة والجسم كما صنع امرؤ القيس ومن ثم كان فرسه هو المثال ينظر إليه كل المبدعين وأرادوا أن يخلدوه .فلم يظفر فرس في البقاء كما ظفر فرس امرئ القيس ومع ذلك فإن هؤلاء المعجبين من الرواة لم يستطيعوا الإفصاح عن سر إعجابهم لفرس امرئ القيس، وإنما استوقفونا فحسب عند قولهم أن امرئ القيس كان يجيد التشبيه ومن الواضح أن هته العبارات لا تحمل شيئا محددا على الإطلاق وبقي فرس الشاعر خليقا بالإعجاب من ناحية ، معجزا الناس عن أن يصفوا سره من ناحية أخرى.

[1]- محمد ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر ، 1401 هـ - 1981 م ، ص : 7 .

فرس امرئ القيس يعتمد اعتمادا غريبا على فكرة " السيل " وكل الشعراء– كما قلنا – ربطوا بين فكرة فرس وفكرة السيل قال امرؤ القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل [1]

إن الفرس يشبه الصخرة التي سقط بها السيل من قمة عالية ويبدو السيل في هذه العبارة – إلى حد ما – أهم من الصخرة نفسها ثم عاد امرؤ القيس فأثبت من جديد فكرة السيل وذلك في قوله :

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل[2]

وفي الكلام ما شبه القلب لأن المعنى هو أن المطر النازل هو الذي أسقط الحجر فالفكرة ما تزال تلح على عقل امرئ القيس وأشد من ذلك غرابة أن الشاعر جعل كل ما يتعلق بفرسه جزء من هذا السيل . أنظر إلى قوله " مسح " ، فما تزال إذن أمام السيل الذي ينصب بقوة فإذا ترك امرؤ القيس هذا الانصباب جعل الفرس بحرا . أو قال إن فرسه شبه السابح في الماء ، فرس امرئ القيس هو السيل وهو القادر على السباحة إذا عجزت الخيل الأخرى على طول الماء وأصبحت تثير الغبار بأرجلها مكدودة ،وعلى هذا النحو ظل امرؤ القيس معجبا بفكرة السيل لا تفارقه، حتى جعل دماء الوحوش قريبة من السيل، وظل يدور في هذا المجال الذي أعجب به إعجابا شديدا حينما لا يتعرض للفرس، فإذا صبرت على قراءة شعر امرئ القيس وجدت هذا الماء في كل نحو من أنحاء عقله وأنت تذكر قوله في المعلقة :

وليل كموج بحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي [3]

وفكرة الغزل تعتمد على الماء اعتمادا أساسيا فهو القائل :

كبكر المقاناة البياض بصفرة غداها نمير الماء غير المحلل [4]

" ولامرئ القيس في المعلقة ذاتها حديث عن المطر ، وقد اشتهر الشاعر بوصف المطر كما اشتهر بوصف الفرس ، وأصبح الفرس والمطر معا جزأين مترابطين من تفكير

[1] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان امرئ القيس ، ص 33
[2] الأعلم الشنتمري : امرئ القيس ص 83.
[3] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان امرئ القيس ، ص 83 .
[4] المصدر نفسه ، ص 27.

واحد وهذا الترابط ذاع أثره بين الشعراء " المتنزل " والمسح والسابح كلها تؤلف عالما واحدا أقرب ما يكون إلى عالم المطر [1].

الذي يعني بعد ذلك ولعل في هذا دلالة واضحة على أن فصل موضوعات الشعر العربي في العصر الجاهلي بعضها على بعض لا يستقيم به تفكير ولا يمكن أن يوضح شيئا ، فعالم الفرس أشبه بعالم البحر ، ليس بينهما فرق كبير ، ولا نتصور أن من الممكن أن يشرح موضوع الفرس بمعزل عن فكرة تتردد فيه ترددا واضحا حتى تصبح كالمفتاح الذي يساعد على تناول عالم الفرس .

وما ينبغي أن يحمل إعجاب المتقدمين بفرس امرئ القيس محمل الاستحقاق فالناس يعجبون دائما بشيء له قيمة مهما عز عليهم الشرح أو الإفصاح ، إن إعجاب الناس المتواتر يحمل في طياته الشعور بأن فرس الشاعر من أكثر الخير وأكثر الأشياء أهمية في الشعر العربي ، وأهمية هذا الفرس واضحة بعد أن ساق امرئ القيس المطر عقب وصف الفرس ، وذلك يعني أن الفرس والمطر يتداخلان أو يسبغ الواحد منهما على الآخر ، وامرئ القيس هو الذي علم الشعراء أن يترقبوا فيما يسميه الفرس " صورة المطر ونزوله " ، إن فرس امرئ القيس أشبه بالجهد الذي يبدل لإنزال المطر . ففي قوله:" كجلمود صخر حطه السيل من عل "[2] فالأصوات المتألقة في هذه العبارة من الممكن أن تحتمل فكرة العناء الذي بوجه من الوجوه ، والأصوات التي تؤلف بها صورا أخرى كثيرة ، ونحن لا نحس بهذا المعنى سوى المعاناة الشخصية من جانب القارئ كما في قوله : " كما زلت الصفواء بالمتنزل " .

وعندما نلاحظ هذه الأصوات المشدودة المتوترة وكذلك نلاحظ في قوله :" أثرنا الغبار بالكديد المركل "[3].

كل الأصوات التي استعملها امرئ القيس في وصف الفرس فهي بطريقة غير مباشرة فكرة الجهد والقلق والتوتر .ولو أننا تصورنا فرس امرئ القيس غير مقترن بهذه الفكرة كما عرفنا كيف أعجب متقدمون به .

---

[1] محمد ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ص 79.
[2] المرجع نفسه ، ص 80.
[3] المرجع نفسه ، ص 80.

يعتبر التشبيه ركن عظيم في شعر امرئ القيس لا يتخلى عنه في إظهار صوره وألوانه ، وجمال التشبيه عنده يقوم على غرابته وبعد متناوله ، وما فيه من التصوير والتمثيل والحركة ، ويصف امرئ القيس فلا يبالغ ولا يغرب بل يأتي بأوصاف معقولة وتشابيه مستمدة من الواقع وخيال انتقاه من صميم البادية، وتشخيص ألين فيه الجهاد ثوب البشر ولكن مع هذا غلبت عليه الصور المادية ، وامرئ القيس في خصائص وصفه تلك يطبعه بالبساطة والصدق والدقة التي تقوم على إتمام الوصف وعدم جموح الخيال .

والتشبيه يعتبر من أبسط الوسائل في بناء الصورة الشعرية ، لأن العلاقة التي تربط بين المشبه والمشبه به علاقة مقارنة فقط فهنا نجد أنفسنا أمام معادلة ذات طرفين يشكلان بتقابلهما صورة جديدة ، ذات بنية معينة تقوم بنفسها أي ذات وجود مستقل له دلالة فنية خاصة وتكون هذه الصورة المنجزة إلى جانب بقية أنواع الصور الأخرى البناء الفني العام للقصيدة [1]

" سر الجمال فيشعر امرئ القيس إنما هو في الخيال الذي يصوره ويلون ويجسم ويحي .

إنه خيال خصب لا ينضب له معين ، فهو يتتبع المشاعر ويحاول أن ينقلها نقلا دقيقا ، ويمعن في التصوير إمعانا " [2]

وكأن الشاعر راض كل الرضى عما يفعل معجب بصوره وكثرتها وتنوعها وصولا يسير فيها على نظام الوصف والبناء ، بل على طريق الفوضى وهكذا فالصورة لا تتكامل عنده عن طريق النمو والتطور ، بل عن طريق العناصر المنثورة هنا وهناك في غزارة لا تخلو من تكرار .

فخيال الشاعر خلاق يهوى الجديد من الصور، كما يهوى تجديد الموروث منها فهو أول من قيد الأوابد بسرعة الخيل وشبه المرأة ببيضة الخذر ، وترائها بالمرآة وشعرها قيد ... فهو صاحب الوثبات الخيالية التي تنتج مع الرياح رسوم الديار ، وتقطر الجنى المعلل من شفتي عنيزة وتقسم الفؤاد الهيمان إلى نصفين : نصف قتيل ونصف مكبل بالحديد

[1] الأخضر عيوكوس : الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية ، دراسة بلاغية نقدية رسالة مذكرة مقدمة لنيل رسالة ماجستير في الأدب العربي القديم ، مكتبة جامعة منتوري ـــقسنطينة ، 1985 -1986م ، ص : 81

[2] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص : 185.

وخياله خيال حسي مادي يعالج المادة الجاهلية، صور جمال ورونق وهكذا فرسوم الديار ميدان تنسج عليه الرياح صوت الصراع بين البقاء والفناء والشاعر أمام تلك الرسوم كأنه ناقف الحنظل، يعالج انفعال نفسه ودموعه ولا يجد صورة أدق وأشد من ناقف الحنظل في المشهد " ولا يتأتى امرئ القيس عن ذكر بعر الأرام إلى جانب دموعه المنهمرة ليتم المشهد الصحراوي وهكذا يمضي في أوصافه المادية من شحم الناقة الحريري ، إلى الترائب المصقولة كالمرآة ، إلى عيني وحش وجرة ، إلى الشعر الأثيث كقنو النحل ، إلى الوادي الذي يشبه حوف العير إلى غير ذلك مما هو كثير ، وهذه الصور الحسية تقوم أكثر ما تقوم على التشبيه والاستعارة وهذا التشبيه مادي في ركنه الثاني ، أعني المتشبه به ، حتى إن كان الركن الأول غير مادي ذلك أن الشاعر البدائي يفسر كل شيء بالظاهرات التي تحيط به ، بعجزه عن التفسير العقلي التجريبي ، والتشبيه عند امرئ القيس مفرد في غالب الأحيان وقد يرد تمثيلية المركبة " [1].

كما في قوله : " كجلمود صخر حطه السيل من عل " والشاعر ينزع في تشبيهه منزع الآداء الرقيق ، وإن لم تقم المعادلة في الحجم والضخامة بين المشبه والمشبه به وهكذا فإننا نلمس عند الشعراء الجاهليين عنايتهم بالصناعة الفنية ولكنها صناعة قريبة إلى الطبع ، بعيدة عن الكلفة ممسوحة بالحياة ولاسيما في وصف الفرس ، والحكمة عنده أنواع فهي تارة اندفاق جارف كالسيل في المنحذر ، وتارة انزلاق خاطف على الصخرة الملساء .

فامرئ القيس كما قلنا مغرم بالصورة المتحركة الحافلة بالحياة ولاسيما في وصف الفرس فقد نراه يشبه خاصرة الفرس بخاصرة الظبي وساقه بساق النعامة .

لا ننسى أنه يتحد ث عن عدوه وسرعة انطلاقه مرة أخرى فهو كالذئب أو كالثعلب في الوثب السريع ، ثم ينتقل فيقول : " إنه مكتنز أملس يسحق عليه الطيب أو كالحنطة في ملامستها وبريقها ، وقد امتزجت دماء الصيد على صدره كأنها الحناء تمتزج بالشيب.

وهنا نرى أن الكثرة الغامرة من الصور والخيالات التي احكمها امرؤ القيس في تصويره وهي كثرة تجعلنا نؤمن بقول النقاد أنه قرب مأخذ الكلام فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة

[1] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 186.

والتشبيه ، قد وجدناه في حديثه عن الفرس يشبهه بخدروف الوليد ومداك العروس صلابة الحنظل والصخرة الملساء تسقط من عل [1]وكذلك قوله :

كأن دماء الهاديات بنصره عصارة حناء بشيب مرجل [2].

فدم الوحش الذي صاده امرئ القيس يلطخ صدر الفرس فيتراءى كأنه عصارة حناء صبغ به الشيب ، إذ لا يكاد يفترق عن الخضاب في شيء .

ويخرج من ذلك إلى وصف السيل والمطر وينزع إلى التشبيه الكثير، كأنه لا يرى الشعر شيئا بدونه ، وهو كذلك يوشي به كل شيء يعرض له في المعلقة سواء حين يصف الثريا أو يصف الليل ، وقد أبدع في وصفه لقطعه وأجزائه فهي ما تنفك وتتدافع وتتلاحق غير منتهية وألم بالوحش فشبة بقرة العذارى دوار .

يقول :

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء المذيل [3]

وبذلك عكس الصورة فشبه البقر بالنساء ، وهو تشبيه مقلوب ، تبعه فيه الشعراء وأصبح ضربا من ضروب الخيال التي ينسجونها .

أما في مطولته " ألا عم صباحا أيها الطلل البالي " فنجد نفس التشبيهات وكذلك في قوله:

يا رب يوم قد لهوت وليلة بآنسة كأنها خط تمثال [4]

ويشبه وجهها في إشراقه بالمصباح ، ويقول إنها لينة ممتلئة كالرمل وما استدار منه ، ويشبهها بالغصن في اعتدال قوامها وتثنيها أما شعرها فكشماريخ النخل في تداخله وغزارته ، ويعرض لليل ونجومه فيشبهها بمصابيح رهبان ، ويحدثنا عن شجاعته وأنه لا يرهب روح من يغازلها ولا تهديدا فيقول :

أيقتلني والمشرف مضاجعي ومسنونة زوق كأنياب الأغوال [5]

---

[1] ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، ص 262.
[2] الأعلم الشنتمري : ديوان أمرئ القيس ، ص 90.
[3] المصدر نفسه ، ص 87.
[4] محمد الإسكندراني رزوق : ديوان أمرؤ القيس ، ص : 102.
[5] المصدر نفسه ، ص: 110.

وهي صورة طريفة لأنها تقوم على التخيل والوهم . ويخرج إلى وصف فرسه فيشبهه بالهراوة أو العصا في صلابته ، ويقول إنه ذكر به قطيع بقر يجري به البياض والسواد في سيقانه حتى لكأن وشى برود يمانية بديعية ، وعود إلى فرسه ن فيشبهه بعقاب ينقض إنقضاضا على فريستها ، ويقول إن هذه العقاب تصيد الطير وتحمل إلى وكرها ، فتأكله إلى قلوبه ، فمنها الطرى الغض ، ومنها الجاف المتقبض ، ويعمل خياله وما يلبث أن يقول:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي[1]

- **الـــبديع:**

أما فيما يخص البديع فإن الشاعر الجاهلي لم يكن يعمد إليه ولكنه كان يرد في شعره من حين إلى حين بعض المحسنات المعنوية واللفظية التي عرفت في العصر العباسي وأكثر الشعراء من أستخدامها ، وفي المفضليات قصيدة لعبد الله بن سلمة الغامدي يكثر فيها من زخرف الجناس كثرة مفرطة .

ولعل في ذلك ما يدل على أن الفكرة التي تعودنا أن نفهم بها الشعر القديم التي تذهب إلى أنه خال من الصنعة فكرة غير صحيحة ، فإن هذا الشعر ينزع به صاحبه إلى ضرب من الجمال في التعبير أن يملأه بالصور والتشبيهات ، فالطباق والجناس من أمثلتها نجد : في قوله في المعلقة " غدائر صاحبته " :

غدائره مستشزرات من العلا تضل المدارى في مثنى ومرسل [2]

وفي قوله يصف فرسه :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل [3]

ومن أمثلة الجناس قوله في غزله :

وإن كنت قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تسل

وقوله :

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح وما الإصباح فيك بأمثل [4]

[1] المصدر السابق، ص: 111.
[2] المصر نفسه ، ص: 32.
[3] المصدر نفسه ، ص: 32
[4] المصدر نفسه ، ص : 32.

2. الصــورة الشعرية الحديثة :

أما الرمز في شعر امرئ القيس ، لم يكد ينفصل صاحبه عن المعاناة في سيل " المطر " ولا شك أن المتأمل المدقق يستطيع أن يرى في هذا الفرس الغريب صورة أسطورية فالطابع الأسطوري . إذا هو السمة الغالبة على تفكير الشاعر فيما تسميه ببساطة صفا واقعيا وليس ثمة تناقض فكرة الجهد الإنساني ، وفكرة التمثل الأسطوري لن الأسطورة صناعة الإنسان الذي يريد أن يثقف العقل الواقع هو المحدود ، والذين يقرؤون الفرس المشهور إلى أن امرئ القيس صانع الأسطورة ليس في وسعهم أن يشرح بطريقة مناسبة كيف أعجب المتقدمون والمحدثون على اختلافهم في هذه الصور الفريدة البكر [1] .

فالتفكير الأسطوري رابط حتمي متين بين أرواح جماهير القراء في عصور متعاقبة ويصح لنا أن نعنون لهذا التفكير فنقول في عبارة مقتضبة فضة الفرس الذي يجاهد من أجل المطر ".

ويجب أن نعامل الفرس معاملة متأنية ، فالفرس أعطى كثيرا من المزايا التي حرم منها الفقراء وغير الميسورين وظهرت آثار الجمال والعناية وحسن التربية على وجهه وجسمه وليس الأمر موقوفا عند هذا الحد فالفرس يوصف – دائما – بعيوبه ، والعيوب مشتق من العباد وهو الموج المرتفع ، والشعراء – كما قلنا من قبل – يستهويهم – كثيرا –فكرة الماء في وصف الفرس فهم يقولون أحيانا كما يقول سلامة بن جندل نفسه.

يهوى إذا الخيل جازته وثار لها هوي سجل من العلياء مصوب [2]

والمعنى أن الفرس إذا الخيل فاتته تهوى الدلو العظيمة المملوءة بالماء .

كل هذا يؤكد لنا أن فكرة الماء سواء في شكل المطر أم في شكل ماء استقى من البئر وحملته الدلو ، لا تزال من الأفكار المهمة التي تجعل الفرس مثلا للحياة الدنيا التي تقرن في الكتاب العزيز بماء نزل من السماء ولكنها حياة خيرة .

[1] محمد ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ص ص : 80-81.
[2] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان امرئ القيس ، ص 231.

فالعطاء الذي يرجى من الفرس لا يتحقق دون عناء يقول:[1]

كأنه يوفئني نام من غنم مستنفر في سواد الليل مذؤوب

يرقى الدسيع إلى هادله تبع في جؤجؤ كمداك الطيب مخضوب

فالشاعر يقارن بينه وبين راعي الغنم الذي نام عن غنمه وجاءه الذئب فقام مذعورا.

إن من العناصر الأساسية في تناول الفرس فالفرس المذعور دائما ، ومن المتوقع أن يأخذ الفرس صورة الأمان والدعة ، فالفرس صورته متناقضة ، مدلل أثير ولكنه مذعور وتسقط عليه الدماء ولكن الدماء أشبه بالطيب والحناء ، ومن اليسر أن نقول إنما يكابده الفرس يضفي عليه جمالا ، وكأن الجمال قلادة تمنح للفرس إذا خاض المعارك وكابد في سبيل الذعر والدم وهذا الأسلوب هو الذي نما في الشعر العربي ، فالفرس ذلك الإنسان الكامل ارتبط بفكرة الكرم لأنه علم الشاعر القديم ، كيف يكون فالكرم لا يبدده الفرس من فيض نشاطه أو ما زاد عن قواه أصلية ولكنه يقدم ذات نفسه لا يبقى منها شيء فكان الفرس المثال الحقيقي الذي لا يبالي الخواطر والمصاعب ، فالفرس صورة لما يتشبث به الشاعر أملا في المستقل ورغب قدر أتم من المناعة والحصانة إن صورة الفرس هي صورة الفرس النبيل الذي ملأته العزة والثقة وعلينا أن لا تعتر بظاهر الأمور فهذا الصورة ذات صبغة إنسانية مثالية ولذلك يلتمس الشاعر نجاة العربي والقدرة على جلائل الأعمال في صورة الفرس التي يبتدعها .

ولقد كان الفرس على الدوام شابا فالفرس طفلا وصبي وغلام وشاب وكهل ، لكن الفرس الذي احتضنه الشاعر بالذكر والتأمل هو الفرس الشاب من حيث هو طاقة إبداعية مقصد الشاعر والإبداع في وصف ما نسميه العدو ، والشاعر العربي هنا وخياله في تصوير وفي وضع الفرس في الصورة التي تلاؤم الموقف الذي يستحق ذلك وهناك قدرات كبيرة أتيحت للفرس وامرئ القيس لا يقلد أحدا ولا يستقيم من آبائه في ذلك بل هو وخياله

[1] المصدر السابق ، ص 232.

وفرسه في خط واحد ، ولا يأخذ الحياة مأخذ محاكاة ، ولكن ابتكار الفرس ليس حلا لمشكلات شخصية في حياته .

فالفرس إذا كائن ملهم تدب فيه قوة لعله يتركها على نفسه إذا مرت لحظات القوة والإلهام ، وفي هذه الحالة غذت عقل الشاعر العربي من أجلها جعل الشاعر الفرس مشعوفا ، أي غريب الأطوار .

3. الموسيقى :

يعد الإيقاع الموسيقي في العمل الشعري من أبرز العناصر التي يعتمد عليها هذا الفن لأن العلاقة بين الشعر والموسيقى ترجع إلى طبيعة الشعر نفسه ، الذي نشأ مرتبط بالغناء ، ومن ثم فإنهما يصدران من مصدر واحد ، وهو الشعر بالوزن والإيقاع .

قد قال أحد المفكرين :" الشاعر موسيقي آلته قلبه ، وأوتاره لسانه وأنغامه حروفه لأنه يعزف على هذه الآلة الخاصة لأنه لا يجيد على غيرها " [1] وباعتبار الموسيقى خاصة فنية وجمالية ، أخذت مكانا كبيرا في شعر أمرئ القيس ، ونحاول أن نعرف بعض خصائصها الفنية في شعره وكيفية تشكيله لهذا الإيقاع ، وقبل ذلك فإننا نتعرض إلى لمحة بسيطة عن الوزن والقافلة وهما ركنان أساسيان من أركان القصيدة العربية أو قاعدتان لا يمكن أن يقوم بنائها إلا عليهما ، وهما حجر الأساس في موسيقاها الخارجية التي يقيسها العروض وحده والوزن أعظم أركان حد الشعر ، وأولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية وجانب لها ضرورة وللوزن إيقاع يضرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه .

عن التزام النقاد العرب القدامى بالوزن والقافية والتمسك بها ركنان من أركان القصيدة أمر له نظيره في النقد الأجنبي الحديث، فاللغات الأوروبية الحديثة لم تعد تكتفي بالموسيقى الداخلية للقصيدة، إنما تضيف إليهما ما تولده اتفاقية على اختلافهما من موسيقى. كان

[1] محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، نقل عن شكري عياد ، موسيقى الشعر العربي ، دار المغرب الإسلامي لبنان ، ط1 ، 1985 ، ص: 53.

الشاعر نيتشه الفيلسوف يقدر الوزن والموسيقى في الشعر أكثر من سائر الجوانب ويفضل الشاعر الرائع الرنين ، الفائق الإيقاع ، ومسيطر على مادة الأوزان وكانت أعظم مناقب الشاعر عنده أن تكون قصائده سلاسل من الأناشيد الصالحة للترقيص .

وعرف شوبنهور:" أهمية الوزن والقافية وتأثيرهما في تحريك الخيال فضلا على أنهما وسيلتان لإثارة الانتباه حين متابعة لسماع الإنشاء . " [1]

كما عرف شوقي ضيف الموسيقى القصيدة العربية بقسميها يقول :" على أن موسيقى الشعر لم يضبط منها إلا ظاهرها وهو ما تضبطه قواعد علمي العروض والقوافي وراء هذه الموسيقى الظاهرة موسيقى خفية تنبه من اختيار الشعر بكلمته ومن بينها من تلاءم في الحروف والحركات وبهذه الموسيقى الداخلية يتفاضل الشعراء ولعل شاعرا عربيا لم يستوفي منها ما استوفاه البحتري لذلك كان القدماء يقولون بأن بشعرهم صنعة حقيقية فشعره أصوات جميلة وغناء مطرب [2]

وذكر الجاحظ :" إذا كان الشعر مستنكره وكانت ألفاظ البيت من الشعر ما يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العائلات (أولاد ، الرجل ، الواحد من أمهات شتى) وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جانب أختها مرضيا موافقا ، كان على اللسان عند إنشاء ذلك الشعر مؤنة ، أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، وتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا وسبك واحد ".

ومعلوم أن مشاكلة اللفظ والمعنى متلائم الأجزاء قاعدتان من عمود الشعر ومن الواضح أن حديث القدامى من تلاحم الأجزاء لم يبتعد مفهوم اقتران الألفاظ لأن الجاحظ يقول بعد النص السابق :" فهذا في الاقتران بأن حديث القدامى في الألفاظ كان يدور في فلك الموسيقى القصيدة ، إلا أنه في إمكاننا أن نستشف في ذلك استشفافا يخفف من وطأة الفهم القاصي لدراسة القدامى للألفاظ في النقد العربي الحديث .

[1] يوسف حسين بكار : بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، دار النشر للطباعة والنشر ، ط2 ، 1983 ، ص 158.
[2] محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث نقلا عن شكري عياد الموسيقى الشعر العربي ، ص 53

أما في نقدنا الحديث فيتفق على طه حسين في مقدمة النقاد القائلين بضرورة الوزن في الشعر في مواطن متعددة من تواليفه يقول : " الركن الثالث الذي لا بد للكلام أن يستوفيه يكون شعرا هو الوزن " ويقول : "

إذن فنحن نستطيع ان نعرف الشعر آمنين بانه الكلام المقيد بالوزن والقافية والذي يقصد به الجمال الفني " [1]

ولقد تمسك القدماء بعروض الخليل ورفضوا أن تخلد القصيدة في وزنها عنه فيما يتضح من قصائد عابوها ل خروجها عن أوزانها ، ومن إهمالهم محاولات الشعراء في هذا المجال ، غير أن مواقفهم من موضوعات أخرى كالزحافات والتصريع شابة شيئا من المرونة باستحسانهم إياها قليلة من القصيدة مما يشجع على القول بالتفاتهم فيها إلى الناحية الموسيقية التفاتا سلبيا في الزحافات بعكس النقد الحديث والتفاتا إيجابيا في التصريع لما يحدث في القصيدة من تنويع موسيقي وعلى ذكر الموسيقى فغن الموسيقى في النقد الحديث قسمان :

قسما الموسيقى :

– الموسيقى الخارجية :

يحكمها العروض وحده ، وتنحصر في الوزن والقافية .

– الموسيقى الداخلية :

تحكمها قيم صوتية داخلية باطنية أرحب من الوزن والنظام المجردين وهي كذلك " عند كودول الذي يحصرها في الإيقاع النوعي والإيقاع الطبيعي في اللغة وهما من خصائص الشعر " [2]

[1] يوسف حسين بكار : بناء القصيدة في النقد الأدبي ، ص 92 ، 93 .
[2] المرجع السابق ، ص 94.

أ- الموسيقى الخارجية :

ولقد عرف القدماء بموسيقى الخارجية ممثلة في العروض والقافية وما يندرج تحتها لكن هل عرفوا الموسيقى الداخلية معرفتهم للموسيقى الخارجية وإن لم يطلقوا عليها هذين الاسمين ؟ بديهي أنهم لم يعرفوا الاصطلاحيين المعاصرين لكن إدراكهم لمفهوم الموسيقى الخارجية واضح في الوزن والقافية غير أنه لا يمكن الجزم بهذا في الموسيقى الداخلية ولكننا إذا ما طبقنا مفهوم الموسيقى الداخلية الحديث على مفاهيم القدامى نستطيع أن نلاحظ دورانه حوله بطرق شتى .

ب- الموسيقى الداخلية :

الموسيقى الداخلية فيما يرى " لانبورن" ذات جانبين هامين : اختيار الكلمات وترتيبها ، والمواءمة بين الكلمات والمعاني التي تدل عليها " [1]

إن دراسة الموسيقى في الشعر الجاهلي يفسر بعض الجهود لبعض الشعراء فالقصيدة عندهم تتألف من وحدات موسيقية يسمونها الأبيات وهي تبلغ عادة أربعين بيتا فما فوق وقد تزيد إلى حد المئة وقد تنقص إلى عشرة ، ويلتزم الشاعر في هذه الأبيات وزنا واحدا يرتبط بنغماته وألحانه في النموذج الفني كله كما يلتزم حرفا واحدا يتحد في نهاية هذه الأبيات يسمى الروي ولا يكتفي بذلك بل لا يزال يوفر جهودا ويلتزم أصولا .

وما لحظناه في شعر أمرئ القيس أنه التزم نهج القصيدة القديمة وهي مجموعة من الأحكام والضوابط يختار الشعراء الالتزام بها في مطولاتهم ولقد لاحظ أيضا أن الفرض الرئيسي في شعر أمري القيس يتحكم به إيقاع نغمي يتجسد في التزام الشاعر أبياته بحرا واحدا وروي واحدا ووحدة الوزن والقافية مثلا في وصفه الليل أو البرق أو المطر ، أو الفرس وهو يبدأ القصيدة مصرعا ثم تتوالى أبياته مستقلة عن بعضها البعض لفظا ومضمونا.

" كما أننا نجده يغني بالتلاؤم بين ألفاظه ، فقلما تلقى فيها لفظة ثانية في حروفها وأيضا نجد عنده عناية واضحة بموسيقاه ، ولعله من لأجل ذلك كان يكثر من التصريع على نحو ما في المعلقة فقد صرع فيها مرارا "[2]

---

[1] المرجع السابق ،ص 96.

[2] ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، ص 265.

كما في بيته الذي يخاطب فيه الليل في قوله :

ألا أيها الليل ألا أنجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل[1]

والحق أن الموسيقى تطرد في المعلقة اطرادا ، فلا نحس بنشاز سوى الزحافات التي يكثر منها على شاكلة قوله :

فعبئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر الألبسة المتفضل [2]

فإن التفعيلة الثانية في حشو البيت " مفاعلن " وليس مفاعيلن : وإذا قرأنا في المعلقة قوله :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل [3]

بضم لام القافية وهذا ما يقتضيه القياس النحوي تقول : من أسفل الجبل ومن عل أي : من أعلاه فتضم اللام على نية حذف المضاف .

أصبح في البيت إقواء ، وهو يكثر في الشعر الجاهلي ، وأيضا إذا قرأنا وصفه للسيل وغثاءه الملتف بالجبل أبان في قوله :

كأن أبانا في أفانين ودقه كبير أناس في نجاد مزمل [4]

بضم اللام في كلمة مزمل وهو ما يقتضيه القياس النحوي لأنها صفة لكلمة كبير أناس المرفوعة أصبح في هذا البيت إقواء ، إذ اختلفت حركة الروي فأصبحت مرفوعة بينما هي في بقية القصيدة مجرورة ويظهر لنا أن هذا لم يكن يكثر عنده .

وكان هناك من يرى أن في طبيعة القافية دور لأن القافية تدل على نهاية الجملة ولأنها تضطر القارئ والسامع إلى الوقوف عندها للتمتع بها موسيقيا وكأن لمفهوم استقلال البيت في النقد القديم فيما أرى نتائج تدعم الفكرة وتقوي من سيطرتها ومن أهمها ما جعلوه مقياسا للموازنة بين الشعراء إذا كان الشاعر الذي يأتي بالمعنى الذي يريد أو المعنيين في بيت واحد ، اشعر منه إذا أتى به أو بهما في بيتين أو أكثر ويقول ابن وهب الكاتب :

---

[1] الأعلم الشنتمري : ديوان امرئ القيس ، ص 81.
[2] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان امرئ القيس ، ص : 25.
[3] امرئ القيس : ديوان ، ص : 15.
[4] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان امرئ القيس ، ص : 40.

" وأعلم أن الشاعر إذا أتى بالمعنى يريده أو المعنيين في بيت واحد ، كان في ذلك اشعر منه إذا أتى في بيتين ، وكذلك إذا أتى شاعرا لذلك فالذي يجمع المعنيين في البيت أشعر ممن يجمعهما في بيتين ."[1]

لذلك فضل قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا يابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي [2]

وكذلك قوله :

كأن عيون الوحش حول خبائنا أرملنا الجزع الذي لم يثقب [3]

لأنه جمع في البيت الأول وصف شيئين لشيئين ، وإنما وصف في هذا شيئا بشيء نستشف من خلال هذا كله أن في شعر امرئ القيس موسيقى لفظية إيقاعية ترافق المعنى في شتى ألوانه فهي ثقيلة ثقل الليل ومديدة بامتداده وهي خفيفة بخفة الفرص وسرعته ، وهي مشرقة ضاحكة في حذر المهفهفة البيضاء التي تصدر وتبدي عن أسيل ، وتتقي وهي كذلك كرارة فرارة مع الفرس تغدو معه في أخذ وعطاء تلوح مرة كالبرق وتختفي مرة مقبلة مدبره معا ، زلالة جياشة في عدوه ، وهي جميلة ساحرة، إلا في بعض المواقع حيث يلجأ الشاعر إلى ألفاظ متنافرة كالمتعكل أو إلى إقواء في اتفاقية كما وأن ذكرنا سابقا .

فالشكل تقليدي فهو الغالب على شعر امرئ القيس الذي اتخذ من الكلمة سلطان على سلطان فأبياته الشعرية لم تكن فيها اضطراب أو تداخل ، وقد كانت ذات تجاذب خاص ، كلماتها ترسل الواحدة بالأخرى في خيال خلاق وإبداع مرهف خاصة في مجال الطبيعة وهذا دليل على أن الشاعر له أداة فنية وقدرة إبداعية كبيرة ، ويمكن القول أن موسيقى امرئ القيس ذات نغمة خاصة وطباعات فنية رائعة ، كما أنه استعمل الكلمات ذات النغم الحلو على غرابتها أحيانا وهذا راجع للبعد الزمني والفترة الطويلة عناصر الشاعر ومع هذا فهي متوفرة على إمكانات موسيقية صافية هامسة ، بعيدة عن الصخب وبعيدة عن الوعورة والجفاف تحمل بين طياتها الحيوية والنشاط ويمكن أن نستخلص أن إشاعة الجو الموسيقي في شعر امرئ القيس يعتمد على مظاهر هي :

---

[1] يوسف حسين بكار : بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، ص : 358.
[2] محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان أمرئ القيس ، ص : 52.
[3] المصدر نفسه ، ص : 69.

يتجلى المظهر الأول في موسيقى إيقاعية ترافق المعنى في شتى ألوانهم، فهي تناسب ثقل الليل ، ونزول المطر وسرعة الفرس و ... أي أنها تحيي مع المعنى حياة دائمة لا تنقطع .والمظهر الثاني : موسيقى خارجية في بنية القصيدة ككل كما تتجلى عند باقي الشعراء القدماء الذين ساروا على النمط الخليلي.

- **مجمل القول:**

غلبت على شعر امرئ القيس النزعة الوصفية ، كما قدمنا معبرة عن موقفه النفسي إزاء العالم الخارجي ، فرحا به مندهشا أمام بساطة العجيب ، مأخوذا بتقلباته مروعا بقواه وعناصره ، يحي منه في موقف رضي ومسالمة ، بل إنه يتخطفه تخطفا ، ويبث فيه غاية الغبطة ، فينطوي عليه بشعره ، ليعانقه معانقة ، يضمه بروحه ويأسره بين يديه ويغمره في أحضانه ، ولم يكن شعره سوى محاولة لامتلاك ذلك العالم وتجسيده تجسيدا شعوريا لا يفضي أسراره البعيدة ، ولا يعدل منه أو يبدل ، بل يقبل بواقعه كما يقع ، ينظر إلى المرآة ، تامة الخلق ، رائعة من روائع الجمال أبدعت الطبيعة في تكوينها ، ساكبة عليها جميع ما أدركته من فنون وسحر وتآلف وحياة ، ويحتف بالفرس والناقة والظبية والظلام والليل والنهار والنبات والجماد ، فيجد فيها الانسجام في الشكل والحركة والتآلف في الألوان والتمازج في الخصائص والرموز ، فيحاول أن يصوغ ذلك كله في إطار اللفظ يعيده ويستعيده ، يقلده ويحاكيه ، يصوره ويكرره ، دون أن ينتفض عليه ويجدد في معانيه لأن الشك لا يعدو إزاءه، ولأنه لا يرى موضع نقد وعاها كأنه مقيم في محرابه ، في روضته ، بل في نعيمه ، وكأن شعره نوع من النجوى بينه وبين أشيائه ، أو هو نوع من التأمل الذي يبدع في إطار النفس ما شخص في إطار الطبيعة .

" فالخاصية الكبرى لشعر امرئ القيس : عبادة الطبيعة ، عبادة المادة بنوع من الوثنية الغامضة التي ترى في المادة كما في ذاتها ، وهي بداية نفسها ونهايتها .

المعاني:لا وجود لها.

الأفكار: لا دلالة فيها. إلا ما تعنيه مظاهر المادة وما تدل أشكالها وحركاتها ومع أن الباحثين يميلون إلى القول بنصرانية امرئ القيس فإننا لا نعثر في شعره على دلائل تدل عليه ."[1]

[1] إيليا الحاوي : امرؤ القس ، شاعر المرأة والطبيعة ، ص : 164.

خـــــــــــاتمة :

بحثنا هو دراسة جمالية مفصلة في شعر امرئ القيس حول الفرس ولقد كانت موسومة بـ: جماليات الفرس في شعر امرئ القيس وبعد هذه الدراسة تكونت لنا حصيلة معرفية حول هذا الموضوع وتوصلنا إلى النتائج التالية :

- أن الشعر الجاهلي مهما كان غزلا ، وصفا ، فخرا ، يحمل من القيم السامية التي تؤهله أن يكون في المنازل الأولى للشعر بصفة عامة .
- أن الفروسية ظهرت في العصر الجاهلي وكانت نتيجة لظروف اجتماعية طبيعية وكذلك ظروف أخرى ذاتية : حب المغامرة والصيد والحروب .
- الفرس عند الجاهلين وخاصة الشعراء له منزلة كبيرة في قلوبهم تعادل منزلة المرأة وغيرها ولهذا كان الأنيس والرفيق والصديق كما كان المنجي والمصاحب والمنقذ لهم في الحروب وسيدا لهم في سبل أخرى.

كما توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أن الشاعر من أوائل الذين برعوا في وصف الفرس الذي في شعره يحمل الخصائص الآتية:

أ- من حيث الشكل والأعضاء.

ب- السرعة.

جـ- القوة .

د- صفاته الجسمية.

أما من الناحية الفنية فقد توصلنا إلى أهم ما يمز الصورة الشعرية من تشابه واستعارات وصور أخرى .

- وفي الأخير لا ندعي أننا وفينا الدراسة حقها وحسبنا أننا تناولنا جانبا يبقى مفتوحا لمن يوسعه .ونقترح في الأخير بعض المواضيع المكلمة للبحث حتى يكون أكبر فائدة فمثلا:

دراسة جمالية لفرس أمرئ القيس من الناحية الشكلية وكذلك دراسة جمالية فنية لفرسه والمقارنة مع الشعراء الآخرين .

ونتمنى في الأخير لأجيالنا القادمة أن يكملوا هذا البحث حتى يستوفي حقه.

قـــــــــائمة المصادر والمراجع :

- القـــرآن الكريم:

أولا : المـــــصادر :

1-الأعلم الشنتمري :اعتنى بتصحيحه أبي شنب الأستاذ بكلية الأدب بالجزائر ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1394 هـ ، 1974 م .

2-امرئ القيس ديوان : دار صادر بيروت ، 1421 هـ / 2000م .

3- لبيد بن ربيعة ديوان: دار صادر بيروت .

4-عبد السلام الحوفي ديوان: ديوان الخنساء ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

5- محمد الإسكندراني ونهاد رزوق : ديوان امرئ القيس ، الناشر لدار الكتاب العربي – بيروت –ط1 : 1423 هـ /2002.

ثانيا : المـــــراجع :

1-أحمد أبو يحي : الحصان في قصائد الجاهليين والإسلاميين .

2-أحمد طاهر مكي : أمرؤ القيس ، حياته وشعره ، دار المعارف بمصر ، ط2 ، 1970.

3-أميرة حلمي مطر : فلسفة الجمال .

4-الآمدي : الموازنة في شعر أبي تمام والبحتري ، تصحيح أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1921.

5-إيليا الحاوي: أمرؤ القيس ، شاعر المرأة والطبيعة ، دار الثقافة بيروت – لبنان ، ط1 ، 1970-1981م.

6-بداوي طبانة : معلقات العرب ، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ملتزم الطبع والنشر ، مكتبة الأنجلو المصرية .

7-التونجي محمد : المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1999 ، ج1.

8-حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، دار الجيل ، لبنان- بيروت ، مؤسسة خليفة للطباعة ، ترجمة 1951.

9-دنى هويسمان : علم الجمال ، ترجمة ظاهر الحسن ، ط4 ، دار المنشورات عويدات ، بيروت – لبنان ، 1983م.

10- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، تصحيح محمود شاكر ، مطبعة المدني جدة ، المملكة العربية السعودية .ج1 .

11- ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر ، تصحيح محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، النشر ، بيروت- لبنان ، ط4 ، 1972 ، ج1.

12- زكرياء إبراهيم : فلسفة الجمال بين سقراط وأفلاطون ، مجلة الآداب بيروت ، العدد 6 ، 1963.

13- شايف عكاشة : نظرية الأدب في النقد بين الجمال والبنيوية في الوطن العربي ، نظرية الخلق اللغوي .

14- ضيف شوقي : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف بمصر ،كورنيش النيل ، القاهرة ، ط6.

15- عبد الحميد حسن : الأصول الفنية للأدب ، مكتبة الأنجلو مصرية 1964.

16- عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر 1967 ، ط2.

17- عمر الدسوقي : فتوة عند العرب أو أحاديث ، أستاذ أدب ورئيس الدراسات الأدبية ، الفروسية والمثل العليا ، مطبعة النشر .

18- ضيف شوقي : في النقد الأدبي ، دار المعارف بمصر ط3 ،1962.

19- علي بن عبد الرحمن بن هديل الأندلسي : حلبة الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق وتعليق : محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف للطباعة والنشر .

20- ابن الكلبي : أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام وأخباره ، تحقيق المرحوم أحمد زكي ، نسخة مصورة طبعة دار الكتب ، 1946 ، الناشر دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة 1384 هـ / 1965 م .

21- كمال عبد الله : شعراء من الماضي .

22- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت- لبنان – ط3 ، 1994، ج11.

23- محمد ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ط2 ، 1401 هـ ، 1981 م .

24- محمد ناصر : الشعر الجزائري الحديث ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ط1 ، سنة 1985.

25- نجيب فايق أندراوس : المدخل في النقد الأدبي ، مكتبة الأنجلو مصرية ، سنة 1974.

26- يوسف حسين بكار : بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2 ، 1403 هـ ، 1983.

27- يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر .

ثالثا: الرسائل:

- الأخضر عيكوس : الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية ، دراسة بلاغية نقدية ، مقدمة لنيل رسالة الماجستير في الأدب العربي القديم ، مكتبة جامعة منتوري قسنطينة ، 1985 -1986م.

الفـــــهرس

مـــــقدمة ..... أ

مـــــدخل 01

1. مفهوم الجمال لغة واصطلاحا 01
2. نظرة تاريخية عن علم الجمال وفلسفته 02

الفصل الأول حـــــــــياة الشاعر .

1. مولدة ونشأته 08
2. كنيته ولقبه 09
3. سيرته 10
2.3. تشرده 12
2.3. أسطورة زواجه 12
3.3. تصعلكه 14
4.3. التأهب للأخذ بالثأر 15
5.3. شاعريته 18
4. وفـــــاته 19
5. آراء النقاد فيه 20

الفصل الثاني صورة الفرس عند الشعراء الجاهليين

صورة الفرس عند الشعراء الجاهليين..... 21

صورة الفرس في شعر امرئ القيس **21**

1.1. الشكل والأعضاء..... 40
2.1 السرعة و القوة.....40

2. أنساب الخيل..... 43

3.علاقة الفارس العربي بفرسه..... 47

الفصل الثالث الخصائص الفنية لشعر امرئ القيس

1. الصورة الفنية في شعر امرئ القيس..... 49
2. الصور الشعرية الحديثة 56
3. الموسيقى 58
أ. الموسيقى الخارجية 61
ب. الموسيقى الداخلية 61

خـــــــــاتمة 66

قائمة المصادر والمراجع .